مفهوم الضمير في فلسفة القديس بونافنتورا

"دراسة تحليلية نقدية"

The Concept of Conscience in the Philosophy of Saint Bonaventure

"A Critical Analytical Study"

د/ كريمة سعيد حسين محمد الصعيدي

مدرس بكلية تربية– جامعة الإسكندرية

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم الضمير في فكر القديس بونافنتورا، حيث يشكّل محورًا رئيسيًا يلتقي عنده العقل والإرادة مع إشراق النور الإلهي .فالضمير عنده ليس مجرد حكم عقلي أو وظيفة منطقية محدودة، بل خبرة روحية عميقة تكشف حضور الله في أعماق الإنسان وتوجّهه نحو الخير الأسمى . ويستعرض البحث التطوّر التاريخي للمفهوم منذ جذوره الفلسفية واللغوية القديمة، مرورًا بتطوّره في الفكر المسيحي، وصولًا إلى صياغته اللاهوتية في العصور الوسطى، مبرزًا تحوّله من معنى أخلاقي عام إلى مبدأ روحي يتجاوز دلالته التقليدية .

وتُظهر الدراسة أن بونافنتورا يقدّم الضمير باعتباره نورًا وجوديًا داخليًا يدخل الإنسان في علاقة مباشرة مع الله، لا كتصوّر نظري مجرّد، بل كخبرة حيّة تتطبع في وجوده اليومي .وفي مقابل ذلك، يقارن البحث رؤيته بموقف توما الأكويني الذي ربط الضمير بالعقل العملي والقانون الطبيعي .ومن خلال هذه المقارنة يتضح تباين المنهجين :الأكويني يؤسس الضمير على العقل والقانون، بينما يرفعه بونافنتورا إلى بعد روحي ووجودي يتخطى حدود الفكر البشري .ومع ذلك، يعترف بونافنتورا بإمكان انحراف الضمير عند انفصاله عن نور الله، مما يكشف حاجته الدائمة إلى الهداية الإلهية .

وبناءً عليه، يُفهم الضمير عند بونافنتورا كتجربة روحية–ميتافيزيقية عميقة، تجسد التفاعل بين المحدود الإنساني والمطلق الإلهي، وتمنحه أبعادًا أخلاقية ووجودية متجذّرة في صميم العلاقة بين النفس والكون والخير الأعلى.

Abstract

This research examines the concept of conscience in the thought of Saint Bonaventure, where it occupies a pivotal place at the intersection of reason, will, and divine illumination. For Bonaventure, conscience is not a mere rational judgment or a restricted logical function; rather, it unfolds as a profound spiritual experience that discloses the presence of God within the human depths and directs the soul toward the supreme good. The study begins by tracing the historical evolution of the concept, from its philosophical and linguistic roots through its development in Christian thought, culminating in its theological formulation in the Middle Ages. In this trajectory, conscience is shown to move from a general moral meaning to a deeper spiritual principle.

The analysis demonstrates that Bonaventure conceives conscience as an inner light and existential illumination that brings the human person into direct communion with God—not in abstract speculation, but as a lived existential reality. In contrast, the study compares his vision with that of Thomas Aquinas, who linked conscience to practical reason and natural law. This comparison highlights their divergence: Aquinas grounded conscience in reason and law, whereas Bonaventure elevated it to a spiritual and existential dimension transcending human thought. Nevertheless, Bonaventure acknowledges the possibility of its deviation when detached from divine light, underlining its continual dependence on higher guidance.

Thus, in Bonaventure's view, conscience emerges as a deeply spiritual and metaphysical experience, embodying the constant interplay between the finite human and the infinite divine, and grounding morality in a living relation to ultimate truth.

المقدمة:

يُعدّ مفهوم الضمير من أكثر المفاهيم الفلسفية واللاهوتية عمقًا وتركيبًا، حيث تداخلت فيه الأبعاد الأخلاقية والروحية والأنطولوجية عبر التاريخ. وقد تنوّعت المقاربات الفكرية التي تناولته، من الفلسفة القديمة إلى الفكر الديني، وصولًا إلى الفلسفة المدرسية في العصور الوسطى، حيث قدّم القديس بونافنتورا تصورًا فريدًا للضمير، بوصفه حصيلة تفاعل بين العقل والإرادة والنور الإلهي. تسعى هذه الدراسة إلى تحليل ونقد هذا التصور، من خلال تتبّع تطور المفهوم في الفكر الإنساني، ثم استكشاف بنيته المعرفية والروحية عند بونافنتورا، وعقد مقارنة مع رؤية توما الأكويني، في محاولة لفهم موقع الضمير في العلاقة بين الإنسان والخير الإلهي.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في إعادة الاعتبار لمفهوم الضمير كمفهوم روحي–أنطولوجي لا يمكن حصره ضمن الإطار الأخلاقي أو العقلي المحض، وتقديم قراءة تحليلية نقدية لفكر بونافنتورا بوصفه يمثل لحظة تأملية عميقة في صلب الفلسفة المدرسية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلى

١- تحليل مفهوم الضمير عند بونافنتورا.

٢- إبراز العناصر المكونة له (العقل – الإرادة – النور الإلهي).

٣- بيان الطابع الأنطولوجي للتجربة الضميرية.

٤- عقد مقارنة نقدية مع تصور توما الأكويني.

إشكالية البحث:

كيف تشكّل مفهوم الضمير في فلسفة القديس بونافنتورا، وما مدى اتساقه كبنية تجمع بين العقل والإرادة والاستنارة الإلهية؟

وما أوجه التمايز بين هذا التصور ونظيره عند توما الأكويني؟

التساؤلات

١- ما الأصل اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الضمير، وكيف أسهم في تشكيل دلالته الفلسفية واللاهوتية؟

٢- ما أبرز التحوّلات التي طرأت على مفهوم الضمير في انتقاله من التأصيل الفلسفي العقلي إلى التشكّل اللاهوتي الروحي، وكيف انعكس هذا التحوّل على بنيته المفهومية ووظيفته الأخلاقية؟

٣- ما ماهية الضمير وخصائصه في فلسفة بونافنتورا، وما علاقته بالعقل الأخلاقي؟

٤- كيف تتفاعل الإرادة مع العقل في تشكيل الضمير الأخلاقي عند بونافنتورا؟

٥- ما دور الاستنارة الإلهية في توجيه الضمير، وكيف يُعدّ الضمير ثمرة لتكامل العقل والإرادة والإلهام الإلهي؟

٦- كيف تتداخل الأبعاد الروحية والعقلية في تشكيل تجربة الضمير لدى كل من بونافنتورا وتوما الأكويني؟ وهل يُعد الضمير مجرد صدى داخلي أم حضور أنطولوجي فاعل؟

٧- إلى أي مدى يمكن اعتبار الضمير" حدثًا داخليًا "يتجاوز ملكات النفس التقليدية، مثل الإرادة والعقل والذاكرة، في ضوء التأويلات اللاهوتية لكل من المدرستين؟

٨- هل يمكن فهم التجربة الروحية للضمير بمعزل عن الإلهام الإلهي أو الإرادة البشرية؟ وكيف تنعكس هذه الثنائية على الفهم الأنطولوجي للضمير عند بونافنتورا تحديدًا؟

٩- كيف يتجلى الضمير كبنية شاملة تتفاعل فيها النفس والعالم والكون عند بونافنتورا؟ وما موقع العقل في هذه المنظومة مقارنة برؤية توما الأكويني؟

١٠- ما طبيعة العلاقة بين نورانية الضمير عند بونافنتورا، كمصدر إشراقي، وعقلانيته لدى توما الأكويني، كمصدر تنظيري؟ وهل يمكن التوفيق بينهما؟

١١- كيف يسهم التمايز الأنطولوجي بين تصوري بونافنتورا وتوما للأخلاق في إنتاج أثر أخلاقي متميز لكل منهما؟ وهل يمكن الحديث عن التقاء بين" الحق الإلهي "و"المبدأ الذاتي "في هذا السياق؟

خطة البحث

المبحث الأول: تطور مفهوم الضمير بين الرؤية الفلسفية واللاهوتية

المبحث الثانى: الضمير بين العقل والإرادة فى فلسفة بونافنتورا

المبحث الثالث: الضمير كتجربة روحية :دراسة في البعد الأنطولوجي عند بونافنتورا وتوما الأكويني

المبحث الرابع: البنية الأنطولوجية للضمير بين بونافنتورا وتوما الأكويني

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التاريخي في تتبع تطور مفهوم الضمير فى الفلسفات السابقة ، والمنهج التحليلي في تحليل المفاهيم، إضافة إلى المنهج المقارن لبيان أوجه الاختلاف بين بونافنتورا وتوما الأكويني

الكلمات المفتاحية: الضمير – بونافنتورا – الإرادة – العقل – النور الإلهي – الفلسفة المدرسية – الأنطولوجيا – الأخلاق – التجربة الروحية.

النتائج

المصادر والمراجع

المبحث الأول

تطور مفهوم الضمير بين الرؤية الفلسفية واللاهوتية

يعد الضمير من أكثر المفاهيم الأخلاقية تعقيدا وتجذرا في تاريخ الفكر الإنساني، إذ لم ينشأ دفعة واحدة كمفهوم واضح ومحدد، بل تشكل تدريجيا في صلب التجربة الأخلاقية للبشرية، وتداخل مع البعد الديني، والميتافيزيقي، والسياسي. في هذا الفصل، نستعرض تطور مفهوم الضمير منذ أصوله اللغوية والأنثروبولوجية، مرورا بالفكر الفلسفي القديم، ثم الأديان الإبراهيمية، فاللاهوت المدرسي، وانتهاء بالتمهيد الفلسفي – الروحي الذي يمثله القديس بونافنتورا(*).

أولا: مفهوم الضمير لغة واصطلاحا

(١) لغة:

في الجذر العربي، تشتق كلمة "الضمير" من الفعل "ضمر" الذي يدل على الخفاء والباطن ويقال: "ضمر الشيء أي أخفاه" مما يعكس الطبيعة الباطنية لهذا المفهوم، كصوت داخلي يصدر حكما أخلاقيا على الفعل الإنساني. وهو ما يختزن في النفس من وعى وإدراك(١).

(٢) اصطلاحا:

في التراث الغربي اللاتيني نجد اصل الكلمة اللاتيني Conscientia(**) التي تعنى "المعرفة المشتركة" أو المعرفة مع الذات وهي مشتقة من (Con) وتعنى مع و(Scientia) أي معرفة(١). وهي

(*) **بونافنتورا (Bonaventure, 1221-1274):** لاهوتي وفيلسوف فرنسيسكاني، يُعرف بلقب "الطبيب السِّيرافي" (Seraphic Doctor). جمع في فكره بين عناصر أوغسطينية وأخرى أرسطية، ولعب دورًا محوريًا في تشكيل الفلسفة المدرسية في العصور الوسطى. بصفته الرئيس العام للرهبنة الفرنسيسكانية، أولى اهتمامًا خاصًا باللاهوت الصوفي وبمركزية الاستنارة الإلهية في تحصيل المعرفة.

New Catholic Encyclopedia. (2003). Bonaventure. In J. C. Ryan (Ed.), The New Catholic Encyclopedia. New York, NY: Gale, Vol. 2, p. 112.

(١) ابن منظور (١٩٩٧). لسان العرب (تحقيق: عبدالله على الكبير ومحمد احمد حسب الله ومحمود فضل الله) بيروت: دار صادر، مجلد٤، مادة "ضمر"، ص٣٥٣.

تدل على نوع من الإدراك الأخلاقي الذي يشارك فيه الإنسان الله أو العقل(*) الكلي. هذا المعنى يحمل طابعا يتجاوز الذات الفردية، ويحيل إلى مسؤولية مزدوجة أمام الداخل الإنساني والسلطة الأخلاقية المتعالية(٢). مع تطور الفكر اللاهوتي–الفلسفي، بدأ يفهم الضمير على أنه الحكم العقلي الذي يصدره الإنسان تجاه فعله، سلبا أو إيجابا، قبل وقوعه أو بعده ما جعله يحتل موقعا مركزيا في كل مشروع أخلاقي لاحق(٣).

ثانيا: الضمير عند فلاسفة الشرق القديم

في حضارات الشرق القديم، لم يظهر الضمير كمفهوم نظري، بل كمكون ضمنى في النظام الأخلاقي–الميتافيزيقي للعالم في مصر القديمة نجد مبدا الماعت (Math)(**) الذي يمثل العدالة والنظام

(**) **Conscientia**: في الأصل اللاتيني تعني "المعرفة المشتركة" أو "المعرفة الداخلية"، وتُستخدم في السياق الأخلاقي للدلالة على **الضمير أو الوعي الداخلي بالخير والشر** يستخدمها الفلاسفة المدنيون (مثل Ciceroواللاهوتيون لاحقًا لدلالة الضمير الأخلاقي والحكم الداخلي على الأفعال.

Oxford University Press. (1982). Conscientious. In Oxford Latin Dictionary, Oxford University Press P.411 .

(1) Oxford University Press., Op. Cit., P. 412

(*) **العقل (Intellect):** العقل في الفلسفة المسيحية واللاهوت الوسيط يُفهم على أنه القوة الروحية التي تتيح للإنسان إدراك الحقائق الكلية، وتمييز الخير من الشر. وهو ليس مجرد وظيفة ذهنية بل مبدأ ميتافيزيقي يشارك في النور الإلهي.

Lagerlund, H. (Ed.). (2010). Encyclopedia of Medieval Philosophy. Springer. p. 38

(2) Audi, R. (Ed.). (2015). The Cambridge Dictionary of Philosophy (3rd ed.). Cambridge University Press, p. 204.

(3) Sorabji, R. (2014). Moral Conscience Through the Ages: Fifth Century BCE to the Present. University of Chicago press, P. 18.

(**) **Maat** "الماعت": هي إلهة مصرية قديمة تمثل الحقيقة، والنظام، والعدالة، والقانون الكوني. وكانت تُجسِّد المبادئ الأخلاقية والنظام الإلهي الذي يجب أن يحكم الكون والمجتمع، واعتُبرت معيارًا لسلوك الإنسان في الحياة والموت، إذ كانت روح الماعت توزن مقابل قلب المتوفى في محكمة أوزيريس.

Redford, D. B. (Ed.). (2001). The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt. Oxford University Press, Vol. 2, pp. 329-330.

الكوني، وتوزن به قلوب الموتى لتحديد مصيرهم الآخروي كانت الروح تحاسب على توازنها الأخلاقي الداخلي وهو ما يشير إلى ضمير متجذر في انسجام مع الكون[١].

لا يظهر في الفكر الهندي القديم مصطلح "الضمير" بالمعنى المتداول في الفلسفة المسيحية، غير أن مفهوم الدارما يؤدي وظيفة مشابهة من حيث كونه معيارًا داخليًا وخارجيًا للسلوك الأخلاقي، يتحدد وفق موقع الفرد في النظام الكوني والاجتماعي. فالفرد يلتزم بالدارما[*] بحسب طبقته الاجتماعية (Varna)[**] ومرحلته العمرية (Āśrama)[***]، مما يجعل السلوك الأخلاقي خاضعًا لنظام كوني

(1) Simpson, W. K. (Ed.). (2003). The Literature of Ancient Egypt. Yale university press, p. 151.

(*) **الدارما (Dharma):** تشير الدارما إلى النظام الكوني أو الواجب الأخلاقي الذي ينظم سلوك الإنسان حسب مكانه أو طبقته، ويحدد ما ينبغي فعله لتحقيق التوازن الكوني والأخلاقي.

Coward, H. (1987). Dharma. In Encyclopedia of Religion. New York: Macmillan, Vol. 4, pp. 412–413.

(**) **فارنا (Varna)**: يشير مصطلح "فارنا" في الفلسفة الهندية إلى النظام الطبقي التقليدي الذي يقسم المجتمع إلى أربع طبقات رئيسية: البراهمن (الكهنة والعلماء)، الكشاتريا (المحاربون والحكام)، الفيشيا (التجار والمزارعون)، والشودر (العمال والخدم). يُعتبر هذا التصنيف الأساس الذي يُبنى عليه مفهوم الواجبات الاجتماعية والدينية (Dharma) في الهندوسية.

Klostermaier, K. K. (2007). A Survey of Hinduism. Delhi: Oxford University Press3rd ed., p.120.

(***) **أسْراما (Asrama) :** هو النظام الهندوسي لمراحل الحياة الأربع، وهي:

١. Brahmacharya – مرحلة التعلم والدراسة.
٢. Grihastha – مرحلة الأسرة والعمل.
٣. Vanaprastha – مرحلة الانسحاب الجزئي للتأمل الروحي.
٤. Sannyasa – مرحلة الانسحاب الكامل والتفرغ للروحانيات.

كل مرحلة تحدد واجبات الفرد (Dharma) وتؤثر على Karma الفرد وحياته الروحية.

Klostermaier, K. K. . Op. Cit., pp. 140–141.

دقيق. ويرتبط هذا التصور ارتباطًا وثيقًا بفكرة الكارما(****)، إذ تُسجَّل نتائج الأفعال وتُردّ لاحقًا، بما يشبه وظيفة الضمير في محاسبة النفس. ومن ثمّ، تُعدّ الدراما والكارما في الفكر الهندي منظومة أخلاقية شاملة تحلّ محل الضمير الفردي بالمعنى الغربي(١).

اما الكونفوشيوسية فتبرز فضيلة رن (Ren)(*) أي "الإنسانية" كقيمة فطرية تهذب بالتعليم، تشبه الضمير من حيث الوظيفة لا من حيث التركيب(٢).

ثالثا: الضمير عند فلاسفة اليونان

حين ننتقل من الأصل اللغوي إلى الفضاء الفلسفي نجد أن الفلاسفة اليونانيين لم يستخدموا مصطلح "الضمير" صراحة، لكنهم تفاعلوا مع مضمونة الأخلاقي عند زينون الرواقي(**) (Zenon of

(****) **الكارما (Karma):** تشير الكارما إلى الأفعال ونتائجها، أي قانون السبب والنتيجة الذي يربط بين أفعال الإنسان ونتائجها، بحيث تؤدي الأعمال الصالحة إلى آثار إيجابية والأعمال المخالفة إلى آثار سلبية.

Coward, H. .Op. Cit., Vol. 3, pp. 310–311.

(1) Eliade, M. (1959). The sacred and the profane: The nature of religion (W. R. Trask, Trans.). Harcourt, Brace & World p.112.

(*) **Ren (ﺭﻥ)**: الفضيلة المحورية في الفلسفة الكونفوشيوسية التي ترمز إلى **الإنسانية أو الرحمة**. تمثّل سلوك الإنسان المثالي القائم على التعاطف، والثقة، والشجاعة، والإيثار، وتُعبّر عن قدرة الشخص على **إقامة مجتمع بشري مزدهر** بنشاط أخلاقي فردي.

Eberhard, W. (1986). A Dictionary of Chinese Symbols. Routledge. p. 209.

(2) Confucius (1998). The Analects (trans. D.C. Lau) penguin Classics, Book4, p. 73.

(**) زينون الرواقي (٣٣٤-٢٦٢ ق.م) مؤسس مذهب الرواقية اليوناني، علّم أن الفضيلة والسعادة تأتي بانسجام الإنسان مع الطبيعة والعقل الإلهي، ورفض الانفعالات والفرح أو الحزن المفرط. قسم الفلسفة عنده إلى منطق (القواعد والمعرفة)، فيزياء (الكون ككيان عاقل) وأخلاق (العيش الطبيعي حسب الفضيلة). رؤيته شملت مساواة بين الناس، رفض العبيد وعبادة الأوثان، وأكد على حكمة الإنسان كأساس للمجتمع العادل.

Audi, R. (Ed.). (1999). The Cambridge Dictionary of Philosophy (2nd ed.). Cambridge University Press. pp. 814-815.

Citium, 334–262Bc) مؤسس المدرسة الرواقية كان الضمير يفهم بصوت الطبيعة العاقلة داخل الإنسان، يرشده إلى حياة منسجمة مع القوانين الكونية، تقوم على الفضيلة وكبح الأهواء[١].

أما أفلاطون (Palto,427–347BC) فقد صاغ مفهوم الأنامنسيس[***] (Anamnesis) الذي يفترض أن النفس تدرك الخير من خلال تذكر الحقائق التي عرفها في عالم المثل، قبل اتحادها بالجسد في هذا السياق يصبح الضمير نوعا من الذاكرة الميتافيزيقية للخير، لا مكتسبا بل متجذرا في بنية النفس[٢]. وبدوره يرى أرسطو (Aristotle, 384–332BC) أن الحكم الأخلاقي ناتج عن فرونيسيس[*] (Phronesis) أي الحكمة العملية وهي قدرة عقلية تصدر قرارات أخلاقية قائمة على التقدير والسياق[٣].

في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، خاصة لدى افلوطين (Plotinus, 204–270AD) يفهم الضمير بوصفه توجها داخليا نحو الواحد وتطهيرا للنفس، بما يعكس نزعة روحية تأملية ترى الأخلاق كترق لا كقانون مجرد[٤].

---

(1) Long A.A. (1996). Stoic Studies. Cambridge university Press, pp. 112-114.

(***) **الأنامنسيس:** يشير في مصطلح الفلسفة الأفلاطونية إلى تذكر المعرفة الفطرية التي كانت تمتلكها الروح قبل الولادة. فالتعلم ليس اكتساب معلومات جديدة، بل هو استرجاع للمعرفة التي تعرفها الروح مسبقًا.

Audi, R. (Ed.). (1999). Op. Cit., p.815.

(2) Plato (1997). Meno, In Plato: Complete Works (ed. J. M. Cooper). Hackett Publishing, p. 870.

(*) **فرونيسيس (Phronesis):** فضيلة فكرية تمكّن صاحبها من التشاور الجيد بشأن ما هو خير ونافع للحياة الكاملة، وتختلف عن الحكمة النظرية لكونها معنية بالفعل لا بالتأمل.

Audi, R. (Ed.). (1999). Phronesis. In The Cambridge Dictionary of Philosophy. Cambridge University Press, 2nd ed., p. 718.

(3) Aristotle (2009). Nicomachean Ethics (Trans. W. D. Ross). Oxford university Press, Book VI, pp. 110-113.

(4) Plotinus (1991). The Enneads (Trans. Stephen Mackenna). Penguin Books, p. 265.

رابعا: الضمير في الفكر الديني اليهودي والمسيحي:

في التقليد اليهودي لم يصغ مصطلح "الضمير" بمعناه المدرسي لكنه يستدل عليه من خلال الحديث عن "القلب" كمصدر للحكم الأخلاقي، وعن النزعتين Yetzer Hatov(**) (الميل إلى الخير) وYetzer Hara(***) (الميل إلى الشر) واللتين تشكلان البنية النفسية للصراع الداخلي(١).وفي التلمود يطرح الضمير بوصفه الميل الفطري لتفضيل الخير، وأن ولد الإنسان مزودا بالميلين معا(٢).

أما في العهد الجديد فيظهر مصطلح Syneidesis(*) بوضوح في رسائل بولس الرسول(**) (paul the Apostle, c.5–67 AD) حيث يقدم الضمير كصوت داخلي في النفس، تحاسب الفعل

Yetzer Hatov (**): الميل إلى الخير أو النزعة الأخلاقية والإلهية، يظهر مع نضج الإنسان ويوازن ميل الشر. المفهوم جزء من الفهم الحاخامي للنفس، ويستخدم لشرح الصراع الأخلاقي في الإنسان.

Neusner, J., & Avery-Peck, A. J. (Eds.). (2007). Yetzer hara; Yetzer hatov. In Encyclopedia Judaica. Macmillan Reference USA, 2nd ed., Vol. 21, p. 599.

(***) **Yetzer Hara**: النزعة الشريرة أو الدافع الأناني في الإنسان، يُنظر إليه في الأدبيات اليهودية الكلاسيكية كجزء طبيعي من الطبيعة البشرية، وليس كشيطان خارجي

Neusner, J., & Avery-Peck, A. J. (Eds.). Op. Cit., p. 601.

(1) Heschel, A. J. (1955). God in Search of Man: A Philosophy of Judaism. Farrar, Straus and Giroux, pp. 88-90.

(2) Neusner, J. (1994). The Theology of the Halakhah. Brill, p. 134.

Syneidesis (*) هي الكلمة اليونانية المستخدمة في الترجمة السبعينية والعهد الجديد للإشارة إلى "الضمير"، بمعنى الإدراك الأخلاقي أو وعي النفس أمام الله. استُخدمت في الفكر المسيحي المبكر كمرادف لـ"الضمير" (conscientia)، وظهرت في كتابات آباء الكنيسة اللاتينيين واليونانيين، حيث ارتبطت بالمحاسبة الداخلية للذات في ضوء القانون الإلهي.

Armentrout, D. S., & Slocum, R. B. (Eds.). (2000). An Episcopal Dictionary of the Church . Church Publishing Inc., p. 925.

(**) **بولس الرسول (Paul the Apostle)**: مبشر مسيحي مبكر وكاتب رسائل العهد الجديد التي تناقش الضمير والإيمان.

Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.). (2005). The Oxford Dictionary of the Christian Church. Oxford University Press, 3rd ed., p. 1147.

حتى في غياب الشريعة، وتكشف الحق أمام الله[١]. وتطور هذا الفهم في فكر آباء الكنيسة، خاصة اوغسطين[***] (Augustine 354–430AD) الذي اعتبر الضمير انعكاسا لصورة الله في النفس وجعل منه مجالا لحضور النور الإلهي، لا فقط أداة حكم[٢]. أما اوريجانوس[****] (Origen 184–253AD) فقد راي الضمير مرافقا للإنسان منذ الطفولة يتطور مع النعمة والمعرفة[٣].

خامسا: الضمير في اللاهوت المدرسي:

مع نضج الفكر المسيحي في العصور الوسطي، خضع الضمير لتحليل دقيق ضمن بنية اللاهوت الاسكولائية، يرى جريجوريوس الكبير[*] (Gregory the Great, c.540–604AD) أن

(1) The Holy Bible, new Teastament. Romans 2: 14-15, 1 Corinthians 8: 7-12.

(***) **أوغسطينوس** (**Augustine of Hippo**): هو لاهوتي وفيلسوف مسيحي مبكر، مشهور بكتاباته عن الضمير والنعمة.

Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.). (2005). The Oxford Dictionary of the Christian Church. Oxford University Press, 3rd ed., p. 123

(2) Augustine (2003). Confessions (Trans. Henry Chadwick). Oxford university press, p. 114.

(****) **أوريجانوس (Origen، 253–184م)** لاهوتي ومفسّر من الإسكندرية، أسّس التفسير الرمزي للكتاب المقدس، ووضع De Principiis كأول عرض منهجي للعقيدة المسيحية. ترك أثرًا عميقًا رغم الجدل حول بعض آرائه.

Burns, P. (Ed.). (1990). Butler's Lives of the Fathers, Martyrs, and Other Saints, Collegeville, MN: Liturgical Press, p. 251.

(3) Origen (1998). Homilies on Leviticus (trans. G. Heine). Catholic University Of America press, p. 52.

(*) **جريجوري الكبير** (**Gregory the Great**): كان بابا روما من ٥٩٠ لـ٦٠٤، مشهور بكتاباته وإرسال بعثة جريجورية لتبشير الأنجلوساكسون وتطوير العبادة المسيحية في العصور الوسطى.

Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.). Op. Cit.., p. 671.

الضمير يتكون من عنصرين Synderesis وهو استعداد فطري ثابت لتمييز الخير، و Conscientia وهي العملية التي يطبق بها هذا الاستعداد في حالات محددة[١].

ولقد طوّر القديس أنسلم[**] (Anselm of Canterbury 1033–1109) مفهوم الضمير من مجرد إحساس داخلي بالخير والشر إلى كونه التزامًا عقلانيًا بمطابقة الإرادة[**] للحقيقة الإلهية، وجعل من الضمير مبدأً أخلاقيًا يرتبط ارتباطًا جوهريًا بالعدالة والإرادة الحرة."[٢].

(1) Pinckaers, S. (1995). The Sources of Christian Ethics (Trans. Sr. Mary Thomas Noble). Catholic University of America press, p. 110.

(**) **أنسلم من كانتربري (١٠٣٣-١١٠٩)** كان أسقفًا وفيلسوفًا ولاهوتيًا إنجليزيًا، يُعتبر من مؤسسي المدرسة المدرسية. مشهور بحُجته الوجودية لوجود الله، وأثره كبير في تطور الفكر اللاهوتي والفلسفي في العصور الوسطى.

Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.). Op. Cit., p. 86.

(**) **الإرادة (Voluntas / Will):** الإرادة تُعرّف بأنها القوة الداخلية التي تمكّن الإنسان من الاختيار الحر بين بدائل، وغالبًا ما ترتبط بالمسؤولية الأخلاقية. عند أوغسطين وبونافنتورا، الإرادة مرتبطة بالنزوع نحو الخير الأسمى وهو الله.

Audi, R. (Ed.). Op. Cit.,. p. 957

(2) Anselm of Canterbury, (2000). "De Veritate," in: Jasper Hopkins and Herbert Richardson (eds.), Anselm of Canterbury: The Major Works, Minneapolis: Banning Press, p. 155

تعقيب:

يتناول هذا المبحث تحديد مفهوم الضمير انطلاقًا من جذوره اللغوية، إذ يُفهم بوصفه صوتًا داخليًا مرتبطًا بالوعي والإدراك، وهو ما يشكل أساسًا متينًا لفهم طبيعته ودوره في التجربة الإنسانية. ثم يتتبع المبحث تطوّر المفهوم في التراث الغربي واللاهوتي، حيث اتسع مدلوله ليشمل الإدراك الأخلاقي والقدرة على إصدار الحكم العقلي إزاء الأفعال الإنسانية.

وعلى الصعيد المقارن، يُستعرض حضور الفكرة في أنظمة الشرق القديم؛ فالمبدأ الأخلاقي والميتافيزيقي يظهر مثلًا في الماعت لدى المصريين القدماء، وفي مفهومي الدارما والكارما ضمن الفلسفة الهندية، وكذلك في منظومة الفضيلة عند الفكر الكونفوشيوسي، حيث يتجسد الضمير باعتباره عنصرًا ضمن إطار كوني شامل للعدالة والانسجام.

أما الفلسفة اليونانية فقد تناولت الضمير من زوايا متصلة بالطبيعة والعقل والروح، لا باعتباره مصطلحًا قائمًا بذاته، بل كجزء من رؤية أوسع للإنسان وعلاقته بالوجود. وفي الفكر الديني اليهودي والمسيحي، أخذ المفهوم بعدًا أكثر تحديدًا، إذ أصبح يُفهم كصراع داخلي بين الميل إلى الخير والانجراف نحو الشر، وأداة للمحاسبة الداخلية في نفس الإنسان.

ويبلغ المبحث ذروته مع اللاهوت المدرسي في العصور الوسطى، حيث صيغ تعريف فلسفي–لاهوتي متكامل للضمير، يجمع بين الاستعداد الفطري لدى الإنسان والتطبيق العملي للحكم الأخلاقي، مدعومًا بمفهوم الإرادة الحرة ومبدأ العدالة. وهكذا يتضح أن تطوّر فكرة الضمير قد اتسم بتدرج منطقي متماسك، جمع بين الأبعاد اللغوية والفلسفية والدينية، مما يعكس مسارًا غنيًا ومعقدًا في تاريخ الفكر الإنساني.

المبحث الثانى

الضمير بين العقل والإرادة فى فلسفة بونافنتورا

أولا: ماهية الضمير وخصائصه عند بونافنتورا

وُلد القديس بونافنتورا Bonaventure عام ١٢١٧ في بلدة بانوريو بإيطاليا وتوفي سنة ١٢٧٤ يُعد من أبرز شخصيات اللاهوت والفلسفة المدرسية في القرن الثالث عشر، وقد مثّل وجهًا أساسيًا في تقليد الرهبنة الفرنسيسكانية .تلقّى تعليمه في جامعة باريس، وكان لاهتمامه العميق بأوغسطينوس أثر بالغ في رؤيته، على الرغم من تأثره المتوازن أيضًا بتوما الأكويني(*) غير أن بونافنتورا لم يتبنَّ المنهج العقلي التوماثي كليًا، بل سلك مسارًا خاصًا شدّد فيه على التفاعل بين النور الإلهي(**) والعقل البشري، لا سيما في مجال الأخلاق(١).

في هذا الإطار، يظهر الضمير عند بونافنتورا كموضع تقاطع بين الميتافيزيقا والأنثروبولوجيا . فهو ليس مجرد أداة لإصدار أحكام أخلاقية عقلية، بل يُعبّر عن إشراق داخلي نابع من حضور إلهي في باطن النفس. وفي لحظة الضمير، تتفاعل قوى الإنسان الداخلية – من عقل وإرادة – مع نور أسمى، مما يمنح القرار الأخلاقي طابعًا مزدوجًا :فهو فعل إنساني من جهة، لكنه لا ينفصل عن

(*) **توما الأكويني (Thomas Aquinas):** فيلسوف ولاهوتي مسيحي من العصور الوسطى، طوّر فلسفة مسيحية تجمع بين العقيدة الكاثوليكية وأرسطية معدّلة.

The Oxford Dictionary of the Christian Church, (2005). F.L. Cross & E.A. Livingstone (eds.), Oxford University Press, p. 1612.

(**) **النور الإلهي (Divine Illumination):** النور الإلهي عند أوغسطين وبونافنتورا هو الفعل الذي به يشارك العقل البشري في النور الإلهي لفهم الحقائق. يُنظر إليه كشرط ضروري للمعرفة اليقينية.

Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.).Op Cit.. p. 503

(1) Gilson, E. (1955). The Philosophy of St. Bonaventure. Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press, p. 281.

مرجعية مطلقة من جهة أخرى، هي مرجعية النعمة(***) أو الحقيقة الإلهية(١).

وبحسب تصوّر بونافنتورا، لا يمكن اختزال الضمير في كونه صفة عملية أو سمة عقلية، إذ يتطلب دومًا استجابة داخلية تجمع بين المعرفة والإرادة .والضمير، وفق هذا المعنى، ليس كيانًا ساكنًا، بل عملية مستمرة تنفتح فيها النفس على المطلق .ومن ثم، فإن الضمير الأخلاقي يُبنى على علاقة حية بالصوفي والميتافيزيقي في آن، ويتجاوز كونه مجرد جهاز لإصدار الأحكام، ليُصبح وسيلة لبلوغ الحق الأعلى(٢).

هذا التصوّر ينبثق من فهم بونافنتورا للنفس ككلّ موحّد، تتفاعل فيه الملكات الإدراكية مع النزوع الداخلي نحو الخير، مما يجعل من الضمير دعوة دائمة للارتقاء الأخلاقي والانفتاح على الله.

(١) ماهية الضمير عند بونافنتورا

ينظر بونافنتورا إلى الضمير (Conscientia)(*) ليس كوظيفة عقلية محضة، بل كموضع تلاقي بين العقل والإرادة في نفس الإنسان، حيث يظهر فيه التفاعل بين نور العقل الطبيعي والإشراق الإلهي. فالضمير، من هذا المنظور، ليس مجرد أداة للتمييز الأخلاقي، بل هو صورة مصغرة عن حضور الله في النفس، أي أنه يحمل سمة لاهوتية تتجاوز البعد الطبيعي. الضمير عنده ليس فقط معرفة لما هو خير وشر، بل هو في ذاته فعل تذكُّر للحقيقة الإلهية، وحضور دائم لصوت القانون

(***) **النعمة (Grace):** النعمة في اللاهوت المسيحي هي عطية الله المجانية التي تعين الإنسان على الخلاص، وتمكّنه من السلوك في الخير.

McKim, D. K. (1996). Westminster Dictionary of Theological Terms. Westminster John Knox Press. p. 118

(1) Inge, W. R. (1923). Christian Mysticism. New York: Charles Scribner's Sons, pp. 113–114.

(2) Bougerol, J. G. (1988). Introduction to the Works of Bonaventure. Franciscan Institute Publications, pp. 202–203.

(*) **الضمير (Conscientia):** في الفلسفة المدرسية، يُفهم الضمير بوصفه الوعي الأخلاقي الداخلي المرتبط بالحكم على الأفعال من حيث الخير والشر، ويعود أصل المصطلح إلى الفلسفة الرومانية اللاتينية.

Encyclopedia of Philosophy, (1967). Paul Edwards (ed.), Vol. 2, Macmillan, p. 147.

الطبيعي الذي يغرسه الله في قلب الإنسان. ولهذا، فإن فعل الضمير هو دوماً فعل مزدوج: تذكُّر الحقيقة، وتحفيز على الفعل الصالح(١).

(٢) خصائص الضمير عند بونافنتورا

١. **الضمير متجذر في العقل والإرادة:** يرى بونافنتورا أن الضمير لا ينبع فقط من العقل، بل يندمج فيه عنصر الإرادة، مما يجعله فعلًا حرًا يتجاوز مجرد الإدراك المعرفي. فهو لا يقتصر على ما "نعرفه" بل على ما "نريد" أن نفعله في ضوء هذه المعرفة. الضمير إذًا فعل يشارك فيه العقل والإرادة معًا(٢).

٢. **الضمير انعكاس للنور الإلهي:** يستمد الضمير سلطته من نور العقل، لكنه يرتقي بها لأن هذا النور مخلوق فينا على صورة الله. فالضمير هو انعكاس إشراقي لحضور الله في النفس، ولذلك فإن طاعة الضمير هي، في عمقها، طاعة لله ذاته(٣).

٣. **الضمير دائم التوجيه نحو الخير الأعلى:** لا يعمل الضمير وفق معايير نفعية أو ظرفية، بل يُوجّه النفس دومًا نحو الخير الأسمى. وهذا مرتبط بمفهوم بونافنتورا عن "الخير" كغاية نهائية تتجاوز المنفعة المباشرة، حيث يُفهَم الضمير كمحرّك داخلي باتجاه الكمال الروحي(٤).

٤. **الضمير مُعرض للخطأ لكنه يحتفظ بسلطته:** حتى في حال الخطأ، فإن بونافنتورا يُقر بأن للضمير

(1) Bonaventure. (1963). "Breviloquium" (J. de Vinck, Trans.). Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press, p. 119.

(2) Bonaventure. (1993). "The Journey of the Mind into God (Itinerarium Mentis in Deum)" (P. Boehner, Trans.). Indianapolis: Hackett, p. 55.

(3) Bonaventure. (2005). "Commentary on the Sentences of Peter Lombard, Book II, d.39, a.1, q.1" (Z. Hayes, Trans.), In "Disputed Questions on the Knowledge of Christ". St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute, p. 81.

(4) Bonaventure. (2006). "Collationes in Hexaëmeron" (D. Monti, Trans.), In "Writings on the Spiritual Life". St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute, pp. 99–100.

سلطة داخلية يجب احترامها. فالضمير قد يُخطئ بسبب الجهل أو العادات السيئة، لكنه يبقى صوتًا يُلزِم النفس، ولا يُمكن تجاوزه إلا بالتصحيح من خلال النور الإلهي أو التعليم الأخلاقي(١).

٥. **الضمير مرتبط بالنعمة والممارسة الروحية:** لا يكفي أن يُولد الضمير طبيعيًا؛ بل ينضج من خلال النعمة والمجاهدة الأخلاقية. فالضمير الحق ينمو بالتربية الروحية(*)، وبالاتحاد المتزايد مع الله عبر الصلاة والتأمل وممارسة الفضائل(٢).

ثانيا: العقل الأخلاقي(*) والضمير عند بونافنتورا

يرى القديس بونافنتورا أن الضمير (Conscientia) لا يُختزل في كونه مجرد وظيفة معرفية عقلية، بل يمثل موضعًا تلتقي فيه قدرات النفس العليا: العقل والإرادة والذاكرة، ليؤسس من خلال هذا التلاقي بُنية أخلاقية روحية تُعبّر عن حضور الله في النفس البشرية. فالضمير عنده ليس آلة لإصدار الأحكام فحسب، بل هو تعبير حيّ عن حضور النور الإلهي داخل الإنسان، إذ يعمل بمثابة صدى صوت الله في أعماق النفس، ويأخذ طابعه الأخلاقي من هذا المصدر العلوي لا من ذاتية الإنسان

(1) Bonaventure. (1993). "The Soul's Journey into God". (P. Boehner, Trans.). Hackett, pp. 62–63.

(*) **الممارسة الروحية (Spiritual Formation):** التربية الروحية هي العملية التربوية التي تُنمّي في الإنسان الحياة الروحية من خلال الصلاة، التأمل، الممارسات الطقسية والأخلاقية. تُستخدم خاصة في المسيحية لوصف تكوين الشخصية على صورة المسيح.

Wakefield, G. S. (Ed.). (1983). The Westminster Dictionary of Christian Spirituality. Westminster Press. p. 152.

(2) Bonaventure. (1999). "The Triple Way (De Triplicate Via)" (E. Cousins, Trans.), in "Bonaventure: The Mystical Writings". New York: Crossroad, pp.73-74..

(*) **العقل الأخلاقي (Moral Intellect):** العقل الأخلاقي هو قدرة العقل على التمييز بين الخير والشر، وإدراك المبادئ الأخلاقية التي تُوجّه السلوك. في اللاهوت المدرسي، يُعتبر العقل الأخلاقي الأداة التي يشارك بها الإنسان في القانون الطبيعي.

Reese, W. L. (1996). Dictionary of Philosophy and Religion (2nd ed.). Humanity Books. p. 520

وحدها[١].

من هذا المنظور، يتجاوز الضمير البعد العقلي المحض كما طُرح عند الفلاسفة الرشيدين، حيث لا يقف بونافنتورا عند حدود المنطق، بل يربط الضمير بالفعل الأخلاقي كممارسة نابعة من استنارة داخلية. العقل الأخلاقي هو ذاك الذي ينير الإرادة ويوجهها نحو الخير الأعلى، مستندًا إلى المعرفة المتعالية التي تنبع من "الضوء الداخلي" الذي أودعه الله في النفس. وهنا تبرز فكرة "التمييز الروحي"[**] التي تُعد من صلب تجربة الضمير، حيث يستطيع الإنسان من خلالها أن يميّز الخير من الشر ليس فقط بمقاييس خارجية بل بإشراق داخلي نابع من العقل المستنير بالنعمة[٢].

يرتبط الضمير في فكر بونافنتورا ارتباطًا جوهريًا بالمبدأ الفرانسيسكاني القائل بأن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، وبالتالي فإن في داخله قدرة فطرية على إدراك الخير والعدالة، بشرط أن يكون منفتحًا على عمل النعمة. فالعقل الأخلاقي بحسب هذا الفهم لا يمكن فصله عن التكوين اللاهوتي[*] للإنسان، كما أن الضمير لا يعمل بصورة صحيحة إلا إذا توافر له الاتساق بين النعمة والعقل الطبيعي. بهذا يُصبح الضمير بمثابة المرآة التي تنعكس عليها صورة الله في الإنسان، لا مجرد

(1) Bonaventure. (1956). "The Soul's Journey into God" (E. Cousins, Trans.). New York: Paulist Press. P. 34

(**) **التمييز الروحي (Spiritual Discernment):** التمييز الروحي يُقصد به القدرة على إدراك ما هو من روح الله وما هو من نزعات بشرية أو مؤثرات خارجية. يُستخدم خصوصًا في التقليد المسيحي للإشارة إلى عملية الحكم الروحي عبر الصلاة والتأمل.

Wakefield, G. S. (Ed.). Op. Cit.. p. 115

(2) Bonaventure. (2007). Commentary on the Sentences: Book II – On the Trinity. Translated by J. De Finance & A. Haywood. St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute Publications. pp. 248–249.

(*) **التكوين اللاهوتي (Theological Formation):** هو التعليم المنهجي في العقائد والفكر المسيحي الذي يهدف إلى إعداد رجال الدين أو المفكرين. يتضمن دراسة العقيدة، الكتاب المقدس، والفلسفة المرتبطة باللاهوت. McKim, D. K. (1996). Op. Cit.. p. 271

أداة تحليل أخلاقي[١].

كما يؤكد بونافنتورا على أن الضمير يمكن أن يخطئ، لكنه لا يخطئ إلا عندما ينفصل عن نور الحق الإلهي، أي عندما يعتمد الإنسان على ذاته دون الرجوع إلى الله، فينحرف العقل الأخلاقي عن وجهته الأصلية. من هنا، يدعو بونافنتورا إلى ضرورة تهذيب الضمير وتعليمه من خلال المشاركة في الأسرار وتلاوة الكتب المقدسة، لأن الضمير لا يعمل في فراغ، بل يتشكل ويتنقى بحسب نوعية العلاقة بين الإنسان وخالقه[٢].

تعني Voluntas "الإرادة" أو "الرغبة الحرة"، وتشير إلى نزوع داخلي للفعل أو القصد، وقد تُستخدم أيضًا للدلالة على النية، أو الموافقة، أو الرضا، أو حتى النية الطيبة تجاه الآخرين[٣].

ثالثا: الإرادة ودورها في توجيه الضمير عند بونافنتورا

يُعدّ بونافنتورا من أبرز المفكرين الذين أعادوا بناء فهم الضمير ضمن نسق لاهوتي ميتافيزيقي يدمج العقل والإرادة. فقد رأى أن الضمير لا يعمل بمعزل عن الإرادة، بل إنه يتشكل ويتوجه من خلال ميول الإرادة الحرة للخير، باعتبارها انعكاسًا للمشيئة الإلهية[**] في الإنسان. وهنا لا يُفهم الضمير كمعرفة جامدة بما هو صواب أو خطأ، بل كقوة حيوية تتطلب توجيهًا إراديًا حرًا نحو الحقيقة الإلهية والخير الأسمى[٤].

(1) Bonaventure. (1979). Collations on the Six Days (J. de Vinck, Trans.). Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press.), p. 133.

(2) Bonaventure. (1978). "Breviloquium" (J. De Vinck, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute Publications. P. 97.

(3) Lewis, C. T., & Short, C. (1879). Voluntas. In A Latin Dictionary. Oxford: Clarendon, p. 1819.

(**) **المشيئة الإلهية (Divine Will):** المشيئة الإلهية تُفهم كإرادة الله الفاعلة في العالم، وهي المبدأ الذي يحدد النظام الأخلاقي والكوني. في اللاهوت المسيحي، ترتبط المشيئة الإلهية بالنعمة والتدبير الإلهي للخليقة.

McKim, D. K. (1996). Op. Cit., p. 91

(4) Bonaventure. (1993). Op. Cit., p. 57.

الإرادة عند بونافنتورا ليست مجرّد طاقة داخلية عمياء، بل هي القدرة التي تجعل الفعل الأخلاقي ممكنًا، لأنها تملك قابلية التوجيه الواعي نحو الغاية الصالحة. ومن دون إرادة تتجه نحو الله، لا يتحقق للضمير معناه الكامل. فحتى إن عرف الإنسان الصواب بعقله، لن يتجسد ذلك في فعله ما لم تكن إرادته قد سمت ووافقت على الحق. وفي هذا المعنى، يُصبح الضمير مرآة للاتحاد بين العقل والإرادة، ويُصاغ الفعل الأخلاقي كنتاج لتلك الوحدة الداخلية(١).

وقد أكد بونافنتورا على أن الضمير يتطلب طهارة الإرادة لا صحة المعرفة فحسب، إذ إن الإرادة الشريرة تُعمّي العقل وتفسد الضمير، بينما الإرادة المستنيرة تُصفّي الفهم وتقوده إلى الخير. ومن هنا فإن تطهير الإرادة شرط أساسي لصفاء الضمير. هذا المفهوم يُعيد الاعتبار للتربية الروحية، لا بوصفها تعليما معرفيًا فحسب، بل كتهذيب للإرادة وميلها الداخلي إلى الفضيلة(٢).

الإرادة الصالحة، وفقًا لبونافنتورا، لا تُكتسب من الذات وحدها، بل تُستضاء بنعمة إلهية تُهيّئ الضمير ليكون أداة استجابة للدعوة الإلهية في داخل الإنسان. وهكذا يتحوّل الضمير إلى مكان التجلي الإلهي في الذات، حيث تسمع الروح نداء الخير وتستجيب له بإرادة حرّة(٣).

ولهذا فإن الضمير، من دون انفتاح الإرادة على النعمة، يظل ناقصًا أو مشوشًا، لأنه ينقصه الدافع الداخلي نحو المطلق. فليست المعرفة وحدها هي ما يجعل الإنسان أخلاقيًا، بل توافق الإرادة مع الحق الإلهي. وفي هذا، يقترب بونافنتورا من التصورات الصوفية، إذ يرى في الضمير مكانًا يتطلب تطهيرًا وتوجيها لا عقلانيًا فحسب، بل روحيًا أيضًا(٤).

(1) Bonaventure. (2006). Disputed Questions on the Knowledge of Christ. Trans. Zachary Hayes. The Franciscan Institute. pp. 121–122.

(2) Bonaventure. (2007). Breviloquium. Trans. Dominic Monti. The Franciscan Institute. p. 89.

(3) Bonaventure. (1993). Op. Cit., p. 64.

(4) Bonaventure. (2007). Op. Cit., p. 91.

رابعا التكامل بين العقل والإرادة في بنية الضمير عند بونافنتورا

لا ينظر بونافنتورا إلى الضمير بوصفه جهازًا معرفيًا فحسب، بل يراه تعبيرًا عن التداخل الجوهري بين العقل والإرادة في النفس البشرية. الضمير ليس ملكة استدلالية مستقلة، بل هو فعل تشاركي تتكشف فيه الحقيقة الأخلاقية من خلال اتحاد الإدراك العقلي والميول الإرادية. في هذا المنظور، يُعاد تعريف الضمير كـ"نور داخلي" يُستضاء به في اتخاذ القرار الأخلاقي، حيث لا يقتصر دوره على التمييز بين الخير والشر، بل يتجاوز ذلك إلى المشاركة في اختيار الخير المحض، مدفوعًا بالإرادة التي توجه العقل نحو غايته الأعلى، أي الله نفسه(١).

يشير بونافنتورا إلى أن العقل دون إرادة يظل أعمى أمام القيمة الأخلاقية، كما أن الإرادة دون إضاءة العقل تضل عن طريق الخير. الضمير إذًا ليس آلية حُكم باردة، بل حالة من الانجذاب الواعي نحو الحق، تنبع من تآزر القوى النفسية وتوحّدها في إدراك القيم العليا(*). هذا التوحيد هو ما يمنح الضمير صفته اللاهوتية(**) بوصفه انعكاسًا لنور الله في أعماق الإنسان(٢).

(1) Bonaventure. (2006). The Soul's Journey into God, The Tree of Life, The Life of St. Francis (E. Cousins, Trans.). Paulist Press. p. 113.

(*) **القيم العليا (Highest Values / Summum Bonum):** القيم العليا في الفلسفة الأخلاقية المدرسية هي المبادئ التي توجه السلوك نحو الخير الأسمى، وأعلاها هو الله باعتباره الغاية النهائية.

Reese, W. L. (1996). Dictionary of Philosophy and Religion (2nd ed.). Humanity Books. p. 351.

(**) **الصفة اللاهوتية (Theological Attribute):** تشير إلى الصفات الخاصة بالله كما يدرسها اللاهوت النظامي (مثل: الكلية، الأزلية، القدرة الكلية). في سياق الضمير والإرادة، يُقصد بها الصفات التي تنعكس على النفس حين تشارك في النور الإلهي.

Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.). Op. Cit., p. 1543

(2) Bonaventure. (1990). Disputed Questions on the Knowledge of Christ (Z. Hayes, Trans.). Franciscan Institute. p. 37.

في شرح بونافنتورا، يُفهم الضمير من خلال البنية الثلاثية للنفس(***): الذاكرة، والفهم، والإرادة. فالضمير ينشأ حيث تلتقي الذاكرة بمحتوى الحقائق الإلهية، ويعيها الفهم، ثم تتجاوب معها الإرادة في حركة حرة. هذه البنية الدينامية تُظهر كيف يتوسط الضمير بين المعرفة الإلهية والعالم العملي، بحيث يصير الإنسان مسؤولًا عن أعماله لا لأن لديه قدرة على الفعل فحسب، بل لأنه يملك نورًا داخليًا يهديه نحو الخير. هذا ما يجعل الضمير أكثر من مجرّد معرفة؛ إنه مشاركة في الحكمة الإلهية من الداخل(١).

.

وإذ يُصرّ بونافنتورا على الطبيعة المركبة للضمير، فإنه يفتح الباب لفهمه بوصفه موضعًا للاحتكاك بين النور الطبيعي والنور المخلوق. فالعقل لا يعمل إلا بإضاءة النور الفائق للطبيعة، والإرادة لا تختار إلا ما تشعر بأنه يحمل طابع الخير النهائي، والضمير هو الصيغة البشرية لهذا الاشتباك بين الغايات القصوى والقرارات الجزئية. ولذلك، فإن أي انفصال بين العقل والإرادة يؤدي إلى تشوّه في عمل الضمير، ويُضعف قدرة الإنسان على عيش الحياة الأخلاقية في ملئها(٢).

إن مركزية الله في تفكير بونافنتورا تجعل من الضمير ليس فقط ساحة أخلاقية، بل أيضًا مكانًا لاهوتيًا بامتياز. فكل فعل صادر عن ضمير مستنير هو مشاركة ضمنية في فعل الله نفسه، كما لو أن الإنسان في فعله الأخلاقي يتماهى مع مشيئة الخالق. هذا الفهم يحرّر الضمير من النزعة الذاتية ويدمجه في بنية الحق الإلهي، بحيث يكون الضمير صوت الله في الإنسان، لا لأنه فقط يعلّمه، بل لأنه

(***) **البنية الثلاثية للنفس (الاكتمال):** سبق ذكرها، وأضيف هنا توضيح: هذا المفهوم يرتبط مباشرة بلاهوت أوغسطين، حيث يرى أن الذاكرة – العقل – الإرادة تمثل صورة للثالوث (الآب – الابن – الروح القدس). بونافنتورا طوّر هذا المفهوم في إطار التصوف المدرسي.

Gilson, E. (1955). The Christian Philosophy of St. Augustine. Random House. p. 246

(1) Bonaventure. (2005). Breviloquium (D. P. Schneider, Trans.). Franciscan Institute. p. 98.

(2) Bonaventure. (1997). Collations on the Six Days (J. F. Quinn, Trans.). Franciscan Institute. p. 245.

يدفعه إلى العمل باسم المحبة الإلهية[١].

خامسا: دور الاستنارة الإلهية في تشكيل الضمير عند بونافنتورا

ينظر بونافنتورا إلى الضمير (Conscientia) كأداة ذات طبيعة مزدوجة، تتشكل في إطار تفاعل معقد بين العقل والإرادة. إذ يشير إلى أن الضمير لا يقتصر على أن يكون مجرد حكم عقلي قائم على مبادئ أخلاقية عامة، بل يشمل أيضًا وجود "النور الإلهي "الذي ينير هذا الحكم ويمنحه طابعًا خاصًا يتجاوز حدود القدرة البشرية. هذا النور ليس مجرّد إضافة إلى المعرفة الطبيعية، بل هو التكوين الروحي الذي يفتح الطريق للفهم الكامل للحقيقة الأخلاقية، ويشكل الوعي الخلقي من خلال تصحيح العقل ومساعدته على التمييز بين الخير والشر[٢].

بحسب بونافنتورا، لا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة حقيقية لمبادئ الخير والشر من خلال العقل وحده. فالعقل المجرد، بالرغم من أنه يمكنه تمييز المبادئ الأخلاقية، إلا أنه يحتاج إلى الاستنارة الإلهية ليتمكن من فهم تلك المبادئ بشكل صحيح. هذه الاستنارة الإلهية تعمل على تجديد الفهم الداخلي للإنسان، وتحقيق التوازن بين الإدراك العقلي والإرادة التي تدفع إلى تنفيذ هذه المعرفة في الواقع. حيث لا تكون الإرادة فاعلة في تطبيق الخير إلا إذا كانت منيرة بنور العقل الذي يقوده، ولذلك يعتبر الضمير فاعلية في وعي الإنسان تقوم على الفهم والإرادة التي تُستنير بالنور الإلهي[٣].

يمثل النور الإلهي، في فكر بونافنتورا، قوة روحية تساعد العقل على التحليق فوق المعرفة البشرية المحدودة. يقول في هذا السياق: "إن النور الإلهي لا يُعلّم الإنسان فحسب، بل يُنيره ليُبصر الحقيقة الأخلاقية كما هي في ذاتها، بحيث يتمكن الإنسان من اتخاذ القرارات الصائبة في حياته اليومية"

(1) Bonaventure. (2000). The Reduction of the Arts to Theology (Z. Hayes, Trans.). Franciscan Institute. p. 45.

(2) Bonaventure. (1993). The Journey of the Mind into God (P. Boehner, Trans.). Indianapolis: Hackett Publishing.P p. 83–84.

(3) Bonaventure. (1979). Op. Cit., p. 120.

وبالتالي، يتجاوز الضمير في هذا الإطار كونه مجرد أداة عقلية للتفكير المنطقي، ليصبح فعلًا روحيًا ووجودًا مرتبطًا بالحقيقة الإلهية(١).

يؤكد بونافنتورا أن هذا النور الإلهي ليس مجرد عامل خارجي أو فكرة مجردة، بل هو جزء من العملية الداخلية في تشكيل الضمير. إن هذا الضوء الذي يُنير العقل لا يعمل فقط على توجيه الإنسان إلى الخير، بل يعزز أيضًا من إرادته لتفضيل الخير على الشر. ومن هنا يظهر دور الإرادة في تشكيل الضمير، فهي لا تعمل بشكل مستقل عن العقل، بل هي استجابة لإدراك العقل للنور الإلهي الذي يوجهه نحو التصرف الصحيح. هذه الإرادة المستنيرة تتجه نحو تحقيق الخير في العالم وتعمل وفقًا للعدالة الإلهية التي يحددها الضمير المتنور(٢).

مفهوم الضمير عند بونافنتورا لا يقتصر على وظيفة نظرية أو معرفية، بل يتجاوز ذلك ليشمل ممارسة روحية ووجدانية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالله. فالضمير، كما يراه بونافنتورا، هو أداة استجابة حرة لله يوجهها النور الإلهي، بحيث تصبح الإرادة الخيرة نتيجة لمشاركة الإنسان في النور الإلهي، وبهذا يساهم الضمير في تحقيق الخلاص الروحي للإنسان(٣).

سادسا: الضمير كنتاج لتكامل العقل والإرادة والإلهام الإلهي عند بونافنتورا

ينظر بونافنتورا إلى الضمير (Conscientia) على أنه ثمرة حقيقية لتفاعل ثلاثي محوري في النفس البشرية: العقل (Intellectus)، الإرادة (Voluntas)، والإلهام الإلهي (Divine Illumination). العقل يميز المبادئ الأخلاقية ويستوعبها، والإرادة تختار بحرية تطبيق هذه المبادئ، بينما الإلهام الإلهي يضفي على الحكم الداخلي ثباتًا وتوجيهًا لا يتيه في شروخ الشك والهوى. فالضمير

(1) Bonaventure. (1990). Op. Cit., p. 37.

(2) Bonaventure. (2005). Op. Cit., p. 98.

(3) Bonaventure. (2000). Op. Cit., p. 45

يكتمل فقط حين تنسجم هذه القوى الثلاث في لحظة انتخاب أخلاقي واعٍ[١].

شرح بونافنتورا هذا التفاعل بوضوح: العقل وحده، رغم طموحه لمعرفة الحقيقة، لا يضمن اليقين الأخلاقي. بدون الإلهام الإلهي، يظل العقل عرضة للخطأ نتيجة للغفلة أو للغضب الداخلي. أما الإرادة وحدها، فهي قد تفتقر إلى الهدف السامي إذا لم تكن تلقتها من "نور النعمة" الذي ينير الإدراك ويمنح الاستقامة الأخلاقية. لذا يرى أن الضمير هو النتيجة الاعتدالية والتضميلية لهذه القوى الثلاث، حيث يعمل العقل المستنير بالإلهام لتوجيه الإرادة نحو الخير الحقيقي الذي يقودها وليس نحو المصالح الزائلة[٢].

حسب تفسير فرانسيكاني أكاديمي، لدى بونافنتورا الإنسان "مدعوم" من قِبل هذا النور اللامرئي الذي يهب الفهم وضوحًا أكثر من ذاك الناتج عن الثقافة أو التربية فقط؛ إنه نور يُستقبل داخل العقل عند تركه منغلقًا على ذاته فقط، وبه يصبح الإدراك الأخلاقي قبلًا متجدداً يُرتقب ويُمارَس بحريّة متقاة[٣].

إن الجوهر الروحي لهذا البناء يجعل الضمير عنده ليس مجرد حكم نظري، بل حكم مفعول بالنعمة. فالنور الإلهي يحوّل الذاكرة والعقل والإرادة إلى جهة واحدة: السعي نحو الخير كغاية أخيرة. والضمير، في هذا المعدن الفلسفي، هو «صدى» لذلك الخير في نفسك الإنسان، حين تغفر له أسرار النعمة ويُغلق عليه باب الشر والهوى بالنور والوعى[٤].

(1) Bonaventure. (1993). Op. Cit., Pp. 83–84.

(2) Bonaventure. (1979). Op. Cit., P. 120.

(3) Bonaventure. (1990). Op. Cit., P. 37.

(4) Bonaventure. (2005). Op. Cit., P. 98.

تعقيب

يقدِّم بونافنتورا تصورًا فريدًا للضمير بوصفه مفصلًا حاسمًا في بنية النفس الإنسانية، لا باعتباره وظيفة معرفية مستقلة، بل كتركيب حيّ يتقاطع فيه العقل والإرادة في آنٍ واحد. في هذا الإطار، يتجاوز الضمير المعالجة العقلانية الخالصة التي تردّه إلى ملكة الحكم أو الإدراك، كما يتخطى فهمه كمجرد دافع إرادي أخلاقي، ليغدو منطقة تلاقٍ بين الفعل المعرفي والميول الأخلاقية، بين التمييز والتوجيه، بين النور العقلي والالتزام الروحي.

إن بونافنتورا، بانتمائه إلى التيار الفرنسيسكاني، يصوغ فلسفة الضمير داخل نسق كوني لاهوتي، حيث لا يكون الضمير فقط وسيلة للحكم الأخلاقي، بل أيضًا قناة إشراق داخلي توجه الكائن نحو الحق الأسمى. تتأسس هذه الرؤية على تمييزه بينSynderesis بوصفها الشرارة الإلهية الكامنة في النفس، وConscientia باعتبارها فعلًا واعيًا للحكم الأخلاقي، ومن ثم فإن الضمير لديه ليس مجرد استجابة للوحي الأخلاقي، بل تعبير نشط عن اشتراك النفس في نور الحقيقة الإلهية.

ينعكس هذا التمازج بين العقل والإرادة على تصور بونافنتورا للخطأ الأخلاقي، الذي لا يُرد إلى خلل في الإدراك وحده، بل إلى قصور في توجيه الإرادة كذلك، ما يؤكد رؤيته للوحدة العضوية للنفس، ويعكس النزعة التأليفية في فكره بين الأوغسطينية والتوماوية من جهة، وبين الوجدان الشخصي والحقائق الميتافيزيقية من جهة أخرى.

في هذا السياق، يشكل الضمير عند بونافنتورا نقطة تقاطع بين فلسفة النفس وفلسفة الأخلاق وفلسفة الدين، ويؤسس لمفهوم أخلاقي–ميتافيزيقي أصيل يتحدى الثنائيات التقليدية بين الذات والعقل، بين الإلهام والوحي، بين الطبيعة والنعمة، مقدمًا نموذجًا متكاملًا لرؤية الإنسان من الداخل، بوصفه كائنًا يتلقى، ويفكر، ويختار، في آنٍ معًا.

١- "الضمير في فكر بونافنتورا: ملتقى العقل والإرادة تحت النور الإلهي"

٢- "الضمير كمفعول النعمة بين العقل والإرادة عند بونافنتورا"

٣- "الضمير بين العقل والإرادة: منظور لاهوتي–فلسفي عند بونافنتورا"

٤- "الضمير عند بونافنتورا: بنية مزدوجة للعقل والإرادة في ضوء النعمة"

المبحث الثالث

الضمير كتجربة روحية :دراسة في البعد الأنطولوجي عند بونافنتورا وتوما الأكويني

أولًا: الإطار المفهومي لتجربة الضمير بين الروح والعقل

في التراث اللاهوتي الوسيط، لم يُفهَم الضمير (Conscientia) كوظيفة عقلية محضة، بل كحالة مركبة تتلاقى فيها الإرادة والعقل والنعمة .فالضمير لا ينبثق فقط من الفهم العقلي المجرد، بل يتأسس في أعماق النفس حيث تتفاعل الروح الإنسانية مع النور الإلهي .وهكذا، يعبّر الضمير في التقليد المسيحي المدرسي عن إدراك روحي–أخلاقي مزدوج، يتحرك بين قطبي المعرفة والإرادة في ضوء النعمة الإلهية(١).

(١) الضمير كصدى للنعمة: بونافنتورا ونزعة الروحانية الفرانسيسكانية

يرى القديس بونافنتورا أن الضمير ليس فقط أداة للتمييز الأخلاقي، بل هو تعبير عن الحضور الإلهي في النفس. ويُرجِع ذلك إلى تصوره للإنسان ككائن مخلوق على صورة الله، يحمل في عمقه ما يُسمّيه "الشرارة الروحية(Scintilla Animae)" التي تجعل النفس قابلة لاستقبال النور الإلهي .ومن هنا، فإن الضمير، في منظور بونافنتورا، ليس حكمًا عقليًا محضًا، بل هو نداء روحي ينبعث من مركز الكيان، حيث يتلاقى العقل مع الحب الإلهي(٢).

(1) Colish, Marcia L. (1985). The Stoic Tradition from Antiquity to the Early Middle Ages, Vol. 2. Leiden: Brill, pp. 310-311.

(2) Bonaventure. (2005). Op. Cit., pp. 145-146.

هذا التصور يضع الضمير في موضع يسبق التحليل العقلي، ويُنزله منزلة الحدس(*) الروحي المستنير بالنعمة .وهنا تتجلى النزعة الفرانسيسكانية في ربط المعرفة بالحب، والعقل بالإيمان، والتمييز الأخلاقي بالاتحاد الروحي بالله .فالمعرفة الحقة لا تنفصل عند بونافنتورا عن التطهير الداخلي، والضمير ليس مجرد أداة للحكم، بل هو فعل حضور إلهي دائم في النفس المؤمنة(١).

(٢) توما الأكويني والضمير كفعل عقلي في ضوء النور الطبيعي

أما توما الأكويني، فيتجه إلى تحليل الضمير في إطار النظام العقلي الطبيعي، مؤكدًا أن الضمير هو" تطبيق للمعرفة على الفعل"، أي أنه عملية عقلية تستند إلى المبادئ الأخلاقية الأولى المزروعة في طبيعة الإنسان. وهو يميز بين" السِّندرِسِس(*) (Synderesis) "كاستعداد فطري للمعرفة الأخلاقية، و"الضمير "كفعل تطبيقي لهذه المبادئ في السياق العملي(٢).

لكن على الرغم من طابعه العقلي، فإن الضمير عند توما لا ينفصل عن النظام الإلهي، بل يتحرك ضمن إشعاع النور الطبيعي الذي هو في ذاته انعكاس للنور الإلهي .فالضمير وإن كان وظيفة عقلية، إلا أنه مشبع بالبُعد اللاهوتي، لأن العقل نفسه مخلوق موجّه نحو الخير الأسمى، وهو الله .ومن هنا، فإن إخفاق الضمير في الحكم الأخلاقي لا يعود إلى فساده الجوهري، بل إلى نقص المعرفة أو

(*) **الحدس (Intuitio):** هو المعرفة المباشرة دون استدلال، ويُعد من المفاهيم الأساسية في نظرية المعرفة الفلسفية، خصوصًا عند أفلاطون والفلاسفة المدرسيين.

The Cambridge Dictionary of Philosophy, (199). Robert Audi (ed.), 2nd ed., Cambridge University Press, p. 432.

(1) Gilson, Étienne. *(*1965). The Philosophy of St. Bonaventure. Trans. Dom Illtyd Trethowan & Frank J. Sheed. Paterson: St. Anthony Guild Press, p127-128.

(*) **السندرِسس (Synderesi):** مصطلح لاهوتي وفلسفي يعني الميل الفطري نحو الخير الأخلاقي، ويتميّز عن الضمير الذي يصدر حكمًا على الأفعال.

Encyclopedia of Theology (1975). A Concise Sacramentum Mundi, Karl Rahner (ed.), Burns & Oates, p. 1546.

(2) Aquinas, T. (1947). Summa Theologiae (Fathers of the English Dominican Province, Trans.). New York: Benziger Bros, Vol. 1, q.79, a.13

تشويش في الإرادة، مما يعني أن تصحيحه لا يكون فقط بمزيد من التفكير، بل أيضًا بانفتاح أكبر على النعمة الإلهية[١].

(٣) البعد الأنطولوجي لتجربة الضمير :بين الحضور والغياب

في كل من بونافنتورا وتوما الأكويني، يبدو الضمير ليس فقط كأداة للحكم الأخلاقي، بل كتجربة أنطولوجية تكشف عن علاقة الكائن البشري بالمطلق .ففي الضمير، يحضر الله لا كموضوع معرفة فقط، بل كنداء يسكن داخل النفس، كصوت يتجاوز الذات دون أن يغترب عنها .إنه ليس" شيئًا " نملكه، بل" مكانًا "يسكننا، حيث نُستَدعى دائمًا إلى ما هو أبعد منا[٢].

وإذا كان بونافنتورا يؤكد هذا الحضور من منطلق لاهوتي–روحي، فإن توما يبرره من منطلق أنطولوجي–عقلي، لكن النتيجة واحدة :الضمير ليس مجرد ميكانيزم أخلاقي، بل هو علامة على انفتاح الكائن على مصدره، وعلى كونه مخلوقًا يحمل أثر خالقه في داخله.

وهكذا، تتجلى تجربة الضمير في الفكر المدرسي، لا كوظيفة نفسية فقط، بل كبنية أنطولوجية وروحية، تعكس العلاقة العميقة بين الإنسان والله، وتُحوّل الأخلاق من مجرد أحكام إلى مسار وجودي يسعى نحو الكمال[٣].

(1) Pinckaers, S. (1995). The sources of Christian ethics (M. T. Noble, Trans.). Washington, D.C.: Catholic University of America Press. P. 45.

(2) Langston, D. C. (2001). Conscience and Other Virtues: From Bonaventure to MacIntyre. Pennsylvania State University Press. p 45.

(3) Kretzmann, N., & Stump, E. (Eds.). (2021). The Cambridge Companion to Aquinas. Cambridge Universityp. 112-113.

ثانيا: الضمير كحدث داخلي يتجاوز ملكات النفس

(١) عند بونافنتورا

ينظر بونافنتورا إلى الضمير باعتباره "ظاهرة روحية داخلية" لا يمكن ردّها إلى وظيفة نفسية واحدة، سواء كانت العقل أو الإرادة، بل يُعد استجابة داخلية لكلمة الحق التي يخاطب بها اللهُ الإنسانَ في أعماق كيانه. فالضمير، في نظره، "يتجاوز الوظائف الإدراكية الطبيعية للنفس"، لأنه يرتبط بتجربة استنارية تُمكّن الذات من التمييز الأخلاقي من خلال "نورٍ إلهي" مزروعٍ في جوهر الإنسان(١).

في هذا السياق، لا يُعد الضمير نتاجًا لتفاعل سيكولوجي داخلي، بل هو موضع "انكشاف للحقيقة الإلهية"، ما يجعل الفعل الأخلاقي عند بونافنتورا "مشاركة روحية" تتجاوز المقولات النفسية التقليدية(٢).

ويؤكد بونافنتورا أن الإدراك الأخلاقي لا ينبع من النفس نفسها، بل يتأسّس على "نور يسمو فوق قدراتها الطبيعية". فالنفس، في لحظة الضمير، لا تُنتج الحقيقة، بل تُكشَف لها، مما يُضفي على الضمير "طابعًا قدسيًا" لا ينفصل عن أبعاده الأنطولوجية. ولهذا، لا يمكن اختزال الضمير بوصفه وظيفة عقلية أو ميلًا إراديًا، بل يجب فهمه كموقع "انكشاف للحق"، حيث يُستدعى الإنسان للشهادة على الحقيقة، لا لاستخلاصها من ذاته(٣).

فعل الضمير، إذًا، ليس قرارًا أخلاقيًا شخصيًا فحسب، بل هو "تجربة وجودية" يتم فيها التماس بين "المحدود والمطلق"، ويصبح فيها الضمير مظهرًا من مظاهر "حضور الله في أعماق النفس"، ما يجعله "فعلًا إشراقيًا داخليًا" يتجاوز ملكات النفس التقليدية، ولا يمكن اختزاله في بنية الإنسان وحده(٤).

(1) Langston, D. C. (2001). Conscience and Other Virtues: From Bonaventure to MacIntyre. Pennsylvania State University Press. p 45.

(2) Ibid, p 46.

(3) Pędrak, A. (2020). Interpretation of Spiritual Life According to Bonaventure. Teologia w Polsce, 14(1), p.182.

(4) Ibid, p.183.

(٢) عند توما الأكويني

يُميز توما الأكويني تمييزًا دقيقًا بين "Synderesis"، أي الميل الفطري نحو الخير، و"Conscientia"، أي فعل الضمير بوصفه حكمًا عمليًا يصدر عن العقل بخصوص فعل ما في سياق محدد. ورغم هذا التمييز، لا يختزل الضمير، عنده، في مجرد "استنتاج عقلي"، بل يُفهم كـ"حدث داخلي" تختبر فيه النفس "مسؤوليتها الأخلاقية" في ضوء معيار يسمو فوقها(١).

في المنظور التومائي، الضمير ليس مجرّد وظيفة معرفية بين ملكات النفس، بل هو لحظة "استدعاء داخلي" تُستنهض فيها الذات أمام "قانون غير مكتوب" مزروع فيها. هذا القانون لا يصدر عن العقل البشري ذاته، بل عن "حقيقة متعالية" يُتاح للعقل أن يتلقاها، لا أن يُنتجها. ولهذا فإن فعل الضمير، وإن تم بالعقل، إلا أنه "يتجاوز العقل" باعتباره استجابة لـ"صوت الله في الإنسان(٢). ".

وما يميز توما هو إصراره على أن الضمير لا يُمارَس بصفته فعلًا صادرًا عن الذات وحدها، بل هو "نداء داخلي" تلتقي فيه النفس مع مصدر أسمى منها. وهكذا، لا تقتصر لحظة الضمير على بعد معرفي أو إرادي، بل تتحول إلى "اختبار روحي للوجود البشري"، لا يكون فيه الضمير صوتًا داخليًا ينبع من النفس، بل "صوتًا داخليًا موجّهًا إليها من مصدر متجاوز لها(٣). ".

ثالثا : حدود التجربة الروحية بين الإلهام والإرادة

يُعدّ الضمير في فكر كلٍّ من بونافنتورا وتوما الأكويني نقطة التقاء حاسمة بين الإلهام الروحي والإرادة الإنسانية .فهو ليس فقط صوتًا داخليًا أو إدراكًا عقليًا للخير، بل تجربة روحية يتجلّى فيها التوتر بين "النداء الإلهي" من جهة، و"القدرة البشرية على الاستجابة" من جهة أخرى .هذه التجربة لا يمكن

(1) Kretzmann, N., & Stump, E. (Eds.). Op. Cit., p112.

(2) Cajetan Cuddy, J. (2021). St. Thomas Aquinas on Conscience. In H. M. Alvaré & J. B. Hammond (Eds.), Christianity and the Laws of Conscience . Cambrid”e, p118.

(3) Kretzmann, N., & Stump, E. (Eds.). Op. Cit., p115.

اختزالها إلى نشاط معرفي أو فعل إرادي خالص، بل تتأسس في مساحة "بينية"، فيها يُختبر الإنسان كذات منفتحة على المطلق، وفي الوقت ذاته ككائن محدود(١).

بالنسبة لتوما الأكويني، يقوم الضمير بوظيفة التطبيق الفردي لقانون أخلاقي عام، إلا أن هذا التطبيق لا يحدث ميكانيكيًا، بل يتوسّط فيه ما يسميه بـ "التمييز الروحي(Discretio)"، والذي يتطلب انفتاح الإرادة على ما يُمليه العقل المستنير بالنور الإلهي .وهنا يظهر الضمير كتجربة روحية لأن "التمييز ذاته لا يكون ممكنًا إلا بنعمة تُمكّن النفس من قراءة الموقف في ضوء الحقيقة الكلية(٢).

أما بونافنتورا، فيضع الإلهام في قلب التجربة الضميرية .فالضمير عنده ليس مجرد ملكة تطبّق المبادئ، بل "حضور مشعّ للحقيقة الإلهية" في عمق النفس .وهو يؤكّد أن هذه الإشراقات لا تغني عن فعل الإرادة، بل تُوجّهها وتدعوها .فالإلهام الإلهي لا يلغِ حرية الإنسان، بل يفتحها على أفق أعلى، يجعل من الضمير" مكان صراع وتجاوب "بين ما يُبثّ من الله، وما يُقبل أو يُرفض من الإنسان(٣).

إن ما يميّز هذه الرؤية هو أن التجربة الضميرية عندهما ليست لحظة حاسمة بين الخير والشر فقط، بل لحظة "تعطى فيها الحرية شكلًا جديدًا" :إذ تُصبح الحرية هنا مشاركة في الكشف، لا مجرد اختيار بين بدائل .وبالتالي، فإن حدود هذه التجربة لا تُرسم بخطوط معرفية، بل بخطوط أنطولوجية وروحية؛ إذ يقف الإنسان أمام حقيقة تتكشف له، ويُطلب منه أن يلتزم بها بحرية ومسؤولية(٤).

وبذلك، يتجلّى الضمير كحقل لتفاعل "بين النور والإرادة"، بين ما يُمنَح وما يُستجاب له .وهذا ما يفسر لماذا يُنظر إلى الضمير، في هذا السياق، بوصفه موقعًا روحيًا حساسًا، لا يكشف فقط عن

(1) Pieper, Josef. (1991). "The Concept of the Conscience". San Francisco, CA: Ignatius Press. P. 35.

(2) Thomas Aquinas. (2006). "Summa Theologiae". I‑ II, q.19, a.6. pp. 267–268.

(3) Bonaventure. (2005). Op. Cit., P. 101.

(4) Gilson, E. (1955). Op. Cit., Pp. 212–213.

الخير أو الشر، بل عن "الدرجة التي تبلغها النفس في انفتاحها على **رابعا** المطلق[١].

رابعا: البعد الأنطولوجي لتجربة الضمير عند بونافنتورا

يرى القديس بونافنتورا أن الضمير لا يُفهم إلا ضمن العلاقة الوجودية بين الإنسان والخالق، بوصفه المكان الذي تلتقي فيه النفس البشرية بالنور الإلهي، لا بوصفه مجرد وظيفة نفسية أو عقلية . فهو يعتبر الضمير تجربة أنطولوجية داخلية تُعيد تعريف الكائن في ضوء علاقته بالمطلق .في هذا السياق، لا يكون الضمير "حكمًا" عقلانيًا مجردًا، بل انكشافًا للذات أمام معيار خارجي سامٍ، يضيء داخلها، فيجعلها ترى الخير وتنجذب إليه في عمق كينونتها[٢].

البنية الوجودية للضمير عند بونافنتورا مرتبطة بفكرة الإشراق الداخلي (Illuminatio Interior)، وهي ليست مجرّد استعارة بل فعل Ontological يتوسط بين العقل الطبيعي والنور الفائق للطبيعة .فمن خلال هذا الإشراق، تُدرك النفس حقيقة الخير لا بالبرهان المجرد، بل بإدراك مشارك في النور الإلهي ذاته .وهكذا يصبح الضمير محلًا لفعل روحي مشترك بين الإلهي والبشري، أي إنه واقعة كونية تحدث في باطن الإنسان وتعيد صياغة كيانه[٣].

الضمير عند بونافنتورا لا ينعزل عن الحركة العمودية للروح نحو الله .هو في جوهره حركة صاعدة، يرتقي فيها الإنسان من العالم المحسوس نحو الله، بما يشبه معراجًا داخليًا روحيًا .ولذلك فإن فعل الضمير ليس قرارًا فرديًا معزولًا، بل هو استجابة وجودية لدعوة متجاوزة، تنادي الذات من خارجها، لكنها تسكن فيها بنورها، فتستنهضها نحو الامتلاء بالحق والخير[٤].

(1) Ratzinger, Joseph. (1991). "Conscience and Truth". In "On Conscience". San Francisco: Ignatius Press. Pp. 22–23.

(2) Bonaventure. (1993). "" Op. Cit., pp. 83–84.

(3) Bonaventure. (2005). Op. Cit., pp. 96–97.

(4) Gilson, Étienne. (1955). Op. Cit., 194-195.

هذه التجربة تتأسس على رؤية بونافنتورا للعالم كبنية رمزية تشير إلى الخالق، وللنفس كبنية مرآوية تعكس صورته .في هذا السياق، يصبح الضمير الوجودي هو" المكان "الذي فيه تُستعاد صورة الله في الإنسان .وبالتالي، فإن لحظة الضمير هي لحظة أنطولوجية بامتياز، يُستعاد فيها المعنى الأصلي للكينونة، أي كونها مشتقة من نور الكينونة الإلهية ومتجهة إليه دائمًا(١).

إن هذا البعد الأنطولوجي لا ينفصل عن البعد الأخلاقي، بل يؤسسه .فالحكم الأخلاقي في الضمير ينبثق من لحظة وجودية، يكون فيها الإنسان مسؤولًا لا فقط لأنّه يميّز بين الخير والشر، بل لأنه يحيا هذه التمييزات بوصفها كشفًا داخليًا يعرّيه أمام المطلق .هكذا، تصبح الأخلاق ليست فقط التزامًا بالقوانين، بل نمط وجود ينكشف فيه الإنسان بوصفه محكومًا بنور الحقيقة(٢).

تعقيب

يُظهر هذا المبحث أن تجربة الضمير في الفلسفة المدرسية لم تكن محصورة في كونها وظيفة عقلية أو أخلاقية فحسب، بل مثّلت نواةً أنطولوجية لفهم الذات الإنسانية في صلتها بالمطلق الإلهي. ومن خلال تحليل الرؤيتين عند بونافنتورا وتوما الأكويني، يتضح أن الضمير لا يُفهم بوصفه مجرد أداة للحكم الأخلاقي، بل كبنية داخلية متجذّرة في طبيعة الإنسان، المشرَّعة بنور علوي.

ففي تصور "بونافنتورا"، يبدو الضمير كتجربة إشراقية نورانية تتجاوز قوى النفس، وتنفذ إلى أعماقها، حيث تتكشف الذات الإنسانية على تجلّيات الحق الإلهي. الضمير، هنا، ليس مكتسبًا من التجربة، بل هو اشتراك في نور أزلي يسبق العقل ويعود إلى "الذهن الأعلى". أما "توما الأكويني"، فيتخذ مقاربة مغايرة، يرى فيها الضمير نتاجًا للعقل العملي، يندرج ضمن نظام طبيعي للأخلاق، حيث يتعرّف

(1) Hayes, Zachary. (1999). "Bonaventure: Mystical Writings", (New York: Crossroad, pp. 112–113.

(2) Cullen, Christopher. (2008). “The Illumination of Conscience in Bonaventure’s Ethics.” "Franciscan Studies" p. 26-27.

الإنسان إلى الخير والحق بعقله، لا عبر إشراق خارجي.

ولا يقف هذا التباين عند حدود النفس أو المعرفة، بل يمتد إلى تصوّر الكينونة ذاتها: هل الإنسان كائن محاط بنور الله في صميم وجوده، كما في تصور بونافنتورا؟ أم هو عقل عملي منظَّم، يوجّه الخير وفق نظام طبيعي، كما يرى توما الأكويني؟

بهذا، يُمهِّد هذا المبحث للانتقال من مستوى التجربة الروحية إلى أفق التحليل الأنطولوجي للضمير في المبحث التالي. فالسؤال لم يعد: كيف يُختبَر الضمير؟ بل: ما هو موقعه في نسيج الكينونة؟ هل هو جوهر في النفس؟ أم وظيفة؟ هل هو مشاركة في الوجود الإلهي؟ أم تمثُّل للعقل الكوني؟ هذه هي الأسئلة التي سيتصدّى لها المبحث الرابع.

المبحث الرابع

البنية الأنطولوجية للضمير بين بونافنتورا وتوما الأكويني

أولا: الضمير كإدراج في البنية الكلية للإنسان والعالم: النفس والكون

يشكّل الضمير لدى كلٍّ من بونافنتورا وتوما الأكويني ليس مجرد وظيفة نفسية داخلية، بل عنصرًا كاشفًا عن طبيعة الإنسان الكاملة، بوصفه كائنًا متجاوزًا، يتوسط بين الأرض والسماء، المادة والروح، الظاهر والباطن. فالمسألة هنا ليست فقط في "ماذا يفعل الضمير؟"، بل في "ما موقع الضمير في الكينونة الإنسانية؟"، وهل هو انعكاس للعالم الإلهي في النفس، أم صورة من صور النظام العقلي الطبيعي المغروس في الخليقة؟[١].

عند بونافنتورا، تُفهم النفس كـ"مرآة للكون والله" (Speculum Mundi et Dei)، والضمير فيها ليس مجرد انعكاس ذاتي، بل لحظة "شفافية كونية"، حيث يسطع النور الإلهي على باطن الإنسان. هذا النور هو الذي يمنح النفس قابليتها للتمييز الأخلاقي، عبر استنارة العقل بالإشراق الإلهي، لا عبر مجرد ملكة فطرية مستقلة[٢].

ثانيا: "تورانية الضمير" عند بونافنتورا و"عقلانيته" عند توما: تباين الجذر الأنطولوجي

يرى بونافنتورا أنّ الضمير ليس بنية عقلية فحسب، بل هو مشاركة في النور الإلهي، أي في الحقيقة ذاتها، لذلك لا يمكن فهمه إلا في إطار أنطولوجيا إشراقية، يتداخل فيها الله والعالم والنفس في نظام شعاعي واحد. فالضمير هنا ليس "ينشأ" من النفس، بل "ينكشف" فيها، كتجلٍّ للحق[٣].

أما توما الأكويني، فرغم اعتماده على التراث الأوغسطيني، إلا أنه يعيد بناء الضمير ضمن أنطولوجيا طبيعية، حيث تمثل النفس كيانًا مركبًا يخضع لقوانين العقل الطبيعي، ويكون فيها الضمير نتيجة تفعل "العقل العملي"[*] (Ratio Practica) في قراءة المبادئ الأولى للخير والشر، المزروعة في

(1) Pinckaers, S. (1995). Op. Cit., .p 42 .
(2) Gilson, (1955), Op. Cit., pp.195.
(3) Bonaventure. (1956). Op. Cit., pp. 112–113.

(*) **العقل العملي (Ratio Practica):** العقل العملي يُشير إلى ملكة العقل التي توجه الفعل الأخلاقي، ويُميَّز عن العقل النظري الذي يهتم بالمعرفة المجردة.

فطرة الإنسان[١].

التباين هنا ليس في وظيفة الضمير فقط، بل في جذره الأنطولوجي: فبينما يجعل بونافنتورا الضمير كشفًا إلهيًا يتجاوز النفس، يجعل توما الضمير نشاطًا داخليًا يتولد من العقل نفسه، وإن كان تحت نور الإيمان هذه المفارقة تعني أن بونافنتورا يضع الضمير في خط التلقي، بينما توما يضعه في خط التكوين العقلي[٢].

ثالثا: هل الضمير أداة اتصال بالحق الإلهي أم مبدأ عقلاني ذاتي؟

يُطرح هنا سؤال وجودي حاسم: هل الضمير صدى لكلمة الله في باطن الإنسان، أم تعبير عن قدرة العقل على التمييز الطبيعي؟ عند بونافنتورا، لا يُمكن فصل الضمير عن البُعد اللاهوتي؛ إنه "سماع داخلي" لكلمة تتجاوز النفس وتستنير بها. فالضمير لا يُنتج الحقيقة، بل يشهد عليها[٣].

أما عند توما، فرغم تأكيده على انفتاح الضمير على الإلهي، إلا أن بنيته تظل قائمة على قدرة العقل الطبيعي على استخلاص المبادئ الأخلاقية دون الحاجة إلى وحي مباشر، ما دام العقل مُنيرًا بنور العقل الأول (الله)[٤]. الضمير هنا هو جهاز تفسير وتأويل للخير والشر في ضوء النظام الطبيعي الذي أودعه الله في الخليقة[٥].

رابعا: الأثر الأخلاقي للتمايز الأنطولوجي: نحو تصورين متباينين للأخلاق

تؤدي هذه الاختلافات في الجذر الأنطولوجي للضمير إلى تباين أخلاقي واضح: فبونافنتورا

The Oxford Dictionary of Philosophy, (2008). Simon Blackburn, Oxford University Press, p. 299.

(1) Gilson, E. (1956). The Christian Philosophy of St. Thomas Aquinas. New York, NY: Random House. pp. 257–258.

(2) Gilson, E. (1959). The Philosophy of St. Bonaventure. Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press. p. 141.

(3) Hayes, Z. (1999). Op. Cit., p. 34.

(4) Baur, W. (1982). Bonaventure: His Life and Philosophy. London: Herder & Herder. pp. 42-43.

(5) Davies, B. (1992). Ethics and the Christian Mind: The Moral Philosophy of Thomas Aquinas. Oxford: Clarendon Press, p. 102.

يبني تصورًا أخلاقيًا قائمًا على الارتباط بالحق الإلهي، حيث تكون الأفعال الخلقية هي استجابة لنور يتجلّى في النفس لا بفعلها بل فيها، ما يمنح الأخلاق بعدًا عباديًا وتأمليًا(١).

في المقابل، ينطلق توما من أن الأخلاق هي تفعيل لقوانين طبيعية مغروسة، يعرفها الإنسان بنوره العقلي، ويتصرف بناءً عليها وفقًا لملاءمتها للعقل والخير العام، ما يجعلها ذات طابع عقلاني وتشريعي أكثر(٢). هذا لا يلغي البُعد الديني، لكنه يُؤخِّره لمصلحة البنية العقلانية للنفس، وهو ما يتوافق مع نسقه الفلسفي الأرسطي المسيحي(٣).

خامسا: البنية النفسية للضمير: بين إشراق التلقي وتفعل العقل

إذا نظرنا في البنية النفسية للضمير، سنجد أن بونافنتورا يعيد تشكيل مفهوم النفس حول مركز إشراقي هو المبدأ الأعلى(*) (Summum Principium)، والذي ينفذ إلى النفس من الخارج عبر النور الإلهي(٤). بهذا، يصبح الضمير مستودعًا للحق لا من حيث إنتاجه، بل من حيث حضوره الفوقي، كما لو كان الضمير نافذة تطل منها النفس على المطلق(٥).

أما توما، فيتعامل مع النفس بصفتها خاضعة لنظام الغايات الطبيعية، ويجعل الضمير جزءًا من الوظيفة المرتبطة بإدراك المبادئ الأخلاقية عبر العقل العملي. إنه لا يفصل بين "Conscientia" و"Synderesis"، بل يرى أن كليهما يعملان داخليًا ضمن بنية النفس، وفق تسلسل منطقي معرفي لا إشراقي نوراني(٦).

إن الفرق هنا دقيق لكنه جوهري: عند بونافنتورا، الضمير هو بمثابة كشف؛ عند توما، هو

(1) Ibid, p.76.
(2) Pinckaers, S. (1995). Op. Cit., p. 45.
(3) Davies, B. (1992). Op. Cit., p. 106.
(*) المبدأ الأسمى أو الخير الأعلى الذي تهدف إليه الأخلاق في الفكر الكلاسيكي.
Cicero. (2004). De Finibus Bonorum et Malorum. In R. M. Gummere (Trans.), On the Ends of Good and Evil . London, UK: Harvard University Press, p. 45.
(4) Gilson, É. (1955). Op. Cit., p. 82.
(5) Baur, W. (1982). Op. Cit., P92.
(6) Davies, B. (1992). Op. Cit., p.109-110.

وظيفة عقلية منظمة. لذا فإن بونافنتورا يربط الضمير بالحب الإلهي، بينما توما يربطه بالقانون الطبيعي[١].

سادسا: الضمير كنقطة التقاء بين الكوني والفردي

تفتح هذه الرؤية الباب لفهم أوسع لوظيفة الضمير بين الكوني والفردي. عند بونافنتورا، الضمير هو استجابة فردية لنور كوني، ما يعني أن كل ضمير فريد لأنه يختبر الحقيقة الإلهية بشكل شخصي، وإن لم يبتكرها. هنا، الفردية لا تُعارض الكونية، بل تكشف عنها[٢].

عند توما، الكوني حاضر في صورة القانون الطبيعي، والضمير هو أداة الفرد لترجمة هذا القانون إلى أفعال خاصة. لكن الطابع الكوني يغلب، إذ إن ما يمليه الضمير صالح للجميع بوصفه عقلًا عمليًا، لا تجربة خاصة[٣].

هكذا، فإن توما يُنظّر للضمير كأداة عقلانية للضبط الأخلاقي، بينما بونافنتورا يعامله كمُضيء داخلي للعلاقة الوجودية مع الحق، ما يجعل الضمير ساحة توتر خصبة بين المعرفة والكينونة، بين المعيار والتجلي[٤].

تعقيب

يُعد المبحث الرابع ذروة البناء المفهومي والتحليلي للبحث، إذ يكشف عن العمق الأنطولوجي لتصور كل من بونافنتورا وتوما الأكويني للضمير، بعد أن تم تمهيد هذا العمق في المباحث السابقة. لقد تحوّل الضمير في هذا المبحث من مجرد وظيفة أخلاقية إلى مركز وجودي يتقاطع فيه الإلهي

(1) Celano, A. (2015). Thomas Aquinas and Bonaventure on the understanding of moral goodness. In Aristotle's Ethics and Medieval Philosophy. Cambridge University Press. p. 170.

(2) Bougerol, J. G. (1988). Introduction to the Works of Bonaventure. Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press. p. 103.

(3) McCabe, H. (2008). On Aquinas. London: Continuum. p. 146.

(4) Decosimo, D. (2014). Ethics as a work of charity: Thomas Aquinas and pagan virtue. Stanford University Press.. P. 210.

والإنساني، وتتجلى فيه الرؤية الميتافيزيقية للعالم والنفس.

من جهة بونافنتورا، تَجسّد الضمير كنور إلهي مغروس في النفس، لا يُختزل في قوانين عقلية، بل يشير إلى مستوى داخلي من الشفافية الروحية والانفتاح على الله. أما توما الأكويني، فقد قدّم الضمير بوصفه نتيجةً عقلية خاضعة للنظام الطبيعي، يمكن تحليلها وضبطها ضمن بنية تشريعية عقلانية.

وتُبرز هذه المقارنة تعارضًا جوهريًا بين لاهوت النور(*) ولاهوت العقل(**): ففي حين ينتمي الضمير عند بونافنتورا إلى نظام كشفي (Revelatory)، ينتمي عند توما إلى نظام تنظيري (Theoretical). وهذا الفارق ليس هامشيًا، بل يعكس رؤيتين مختلفتين للإنسان نفسه: أحدهما كائن منفتح على التجلي، والآخر كائن منظم بالعقل والطبيعة.

هذا التعارض لا يُفضي إلى مفاضلة سطحية، بل يسمح بإعادة التفكير في دور الضمير داخل الوجود البشري، وفي طبيعة العلاقة بين الأخلاق والأنطولوجيا، بين الذات والحق، بين الإنسان والمطلق. وبهذا، يُغلق المبحث الرابع البحث كله على سؤال فلسفي مفتوح، لا يطلب إجابة نهائية، بل يهيئ القارئ للتأمل الفلسفي المتجدد.

(*) **لاهوت النور(Theology of Light)** مفهوم عند بونافنتورا يربط الضمير بالإشراق الإلهي كنور داخلي يعكس حضور الله في النفس. Gilson, E. (1955). Op. Cit., , p. 212.

(**) **لاهوت العقل (Theology of Reason)** مفهوم عند توما الأكويني يقوم على قدرة العقل الطبيعي على إدراك المبادئ الأخلاقية ضمن النظام الطبيعي.

Aquinas, T. (1947). Summa Theologica . New York, USA: Benziger Bros, I–II, q.79, a.13, p. 267.

النتائج

أهم النتائج التي توصلت إليها جراء هذه الدراسة

١- يتبين أن الضمير في أصله اللغوي مشتق من الفعل «ضمَرَ» الذي يحيل إلى الخفاء والباطن، غير أنّه في الفلسفة واللاهوت اكتسب دلالة أعمق، باعتباره الصوت الداخلي الذي يوجّه السلوك الأخلاقي.

٢- لم يظل الضمير حبيسًا للمجال العقلي النظري، بل ارتقى ليغدو تجربة روحية حية تحمل بُعدًا أخلاقيًا مستنيرًا بالوحي الإلهي.

٣- عند بونافنتورا يتشكل الضمير من تداخل العقل والروح معًا، فيتحول إلى إحساس أخلاقي يقود الإنسان نحو الخير.

٤- يقوم العقل بإدراك الحقيقة، بينما تختار الإرادة الفعل، ويأتي الضمير ليوحّد بينهما مستضيئًا بالنور الإلهي.

٥- تمثل الاستنارة الإلهية الأساس في توجيه الضمير، إذ تنشأ من تفاعل العقل والإرادة مع النور الفائض من الله.

٦- يقدّم بونافنتورا الضمير باعتباره حضورًا أنطولوجيًا فاعلًا، في حين يصوّره توما الأكويني كصدى داخلي للعقل.

٧- الضمير ليس مجرد وظيفة نفسية عابرة، بل هو حدس داخلي يمتلك سلطة فعلية على توجيه النفس نحو السلوك الأخلاقي.

٨- التجربة الروحية للضمير تقوم على التفاعل بين الإرادة الحرة والإلهام الإلهي الذي ينير طريقها.

٩- عند بونافنتورا يُفهم الضمير كبنية شاملة تتفاعل فيها النفس مع الكون، وهو بذلك يغاير التصور العقلاني عند توما الأكويني.

١٠- في فلسفة بونافنتورا يتصف الضمير بالنورانية لأنه إشراق روحي منبعث من الله، بينما عند توما الأكويني يعدّ ثمرة للعقل التحليلي. ومع ذلك، يمكن التوفيق بين الرؤيتين عبر الجمع بين الروحانية والعقلانية.

١٢- تتضح ازدواجية في تصور مصدر الأخلاق: فبينما يرى بونافنتورا أنها متجذّرة في الحقيقة الإلهية، يعتبرها توما الأكويني قائمة على المبدأ العقلي الذاتي. ومع ذلك، فإن إمكان التلاقي بين التصورين

قائمة المصادر والمراجع

أولا: مصادر رئيسية للقديس بونافنتورا

1- Bonaventure. (1956). Breviloquium (J. De Vinck, Trans.). Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press.

2- Bonaventure. (1956). The Soul's Journey into God (E. Cousins, Trans.). New York: Paulist Press.

3- Bonaventure. (1963). Breviloquium (J. De Vinck, Trans.). Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press.

4- Bonaventure. (1978). Breviloquium (J. De Vinck, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute Publications.

5- Bonaventure. (1979). Collations on the Six Days (J. De Vinck, Trans.). Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press.

6- Bonaventure. (1990). Disputed Questions on the Knowledge of Christ (Z. Hayes, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute Publications.

7- Bonaventure. (1993). The Journey of the Mind into God (P. Boehner, Trans.). Indianapolis: Hackett Publishing.

8- Bonaventure. (1997). Collations on the Six Days (J. F. Quinn, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute Publications.

9- Bonaventure. (1999). The Triple Way (De triplici via) (E. Cousins, Trans.). In The Mystical Writings of Bonaventure. New York: Crossroad.

10- Bonaventure. (2000). The Reduction of the Arts to Theology (Z. Hayes, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute.

11- Bonaventure. (2005). Breviloquium (D. P. Schneider, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute Publications.

12- Bonaventure. (2005). Commentary on the Sentences of Peter Lombard, Book II, d.39, a.1, q.1 (Z. Hayes, Trans.). In Disputed Questions on the Knowledge of Christ. St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute.

13- Bonaventure. (2006). Collationes in Hexaëmeron (D. Monti, Trans.). In Writings on the Spiritual Life (pp. 99–100). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute.

14- Bonaventure. (2007). Breviloquium (D. Monti, Trans.). St. Bonaventure, NY: Franciscan Institute.

ثانيا: المصادر الأجنبية والمترجمة

1- Anselm of Canterbury. (2000). De Veritate. In J. Hopkins & H. Richardson (Eds.), Anselm of Canterbury: The Major Works. Minneapolis: Banning Press.

2- Aquinas, T. (1947). Summa Theologiae (Vol. 1, q.79, a.13) (Fathers of the English Dominican Province, Trans.). New York: Benziger Bros.

3- Aristotle. (2009). Nicomachean Ethics (W. D. Ross, Trans.). Oxford: Oxford University Press.

4- Augustine. (2003). Confessions (H. Chadwick, Trans.). Oxford: Oxford University Press.

5- Cicero. (2004). De Finibus Bonorum et Malorum (H. Rackham, Trans.). Cambridge, MA: Harvard University Press.

6- Confucius. (1998). The Analects (A. Waley, Trans.). New York: Vintage Books.

7- Origen. (1998). Homilies on Leviticus (G. W. Barkley, Trans.). Washington, D.C.: Catholic University of America Press.

8- Plato. (1997). Meno. In J. M. Cooper (Ed.), Plato: Complete Works. Indianapolis: Hackett Publishing.

9- Plotinus. (1991). The Enneads (S. Mackenna, Trans.). London: Penguin Books.

10- The Holy Bible. New Testament. Romans 2:14–15; 1 Corinthians 8:7–12.

ثالثا: المراجع الأجنبية والترجمة

1- Baur, W. (1982). Bonaventure: His Life and Philosophy. London: Herder & Herder.

2- Bougerol, J. G. (1988). Introduction to the Works of Bonaventure. Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press.

3- Celano, A. (2015). Thomas Aquinas and Bonaventure on the Understanding of Moral Goodness. Theological Studies, 76(1), 74–95.

4- Cullen, C. (2008). The Illumination of Conscience in Bonaventure's Ethics. Franciscan Studies.

5- Gilson, E. (1955). The Philosophy of St. Bonaventure. Paterson, NJ: St. Anthony Guild Press.

6- Gilson, E. (1959). The Christian Philosophy of St. Augustine. London: Victor Gollancz.

7- Gilson, E. (1965). The Christian Philosophy of St. Thomas Aquinas. New York: Random House.

8- Hayes, Z. (1999). Bonaventure: Mystical Writings. New York: Crossroad.

9- Langston, D. C. (2001). Conscience and Other Virtues: From Bonaventure to MacIntyre. University Park: Pennsylvania State University Press.

10- Pasnau, R. (2002). Thomas Aquinas on Human Nature. Cambridge: Cambridge University Press.

11- Pieper, J. (1991). The Concept of the Conscience. San Francisco: Ignatius Press.

12- Pinckaers, S. (1995). The Sources of Christian Ethics (M. T. Noble, Trans.). Washington, D.C.: Catholic University of America Press.

13- Sorabji, R. (2014). Moral Conscience Through the Ages: Fifth Century BCE to the Present. Chicago: University of Chicago Press.

رابعا: القواميس والموسوعات الأجنبية

1- Armentrout, D. S., & Slocum, R. B. (Eds.). (2000). An Episcopal Dictionary of the Church. New York: Church Publishing.

2- Audi, R. (Ed.). (1999). The Cambridge Dictionary of Philosophy (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

3- Audi, R. (Ed.). (2015). The Cambridge Dictionary of Philosophy (3rd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

4- Blackburn, S. (2008). The Oxford Dictionary of Philosophy. Oxford: Oxford University Press.

5- Cross, F. L., & Livingstone, E. A. (Eds.). (2005). The Oxford Dictionary of the Christian Church. Oxford: Oxford University Press.

6- Eberhard, W. (1986). A Dictionary of Chinese Symbols. London: Routledge.

7- Encyclopedia of Medieval Philosophy. (2010). Dordrecht: Springer.

8- Encyclopedia of Religion. (1987). New York: Macmillan.

9- Encyclopedia of Theology: A Concise Sacramentum Mundi. (1975). London: Burns & Oates.

10- McKim, D. K. (1996). Westminster Dictionary of Theological Terms. Louisville, KY: Westminster John Knox Press.

11- New Catholic Encyclopedia. (2003). Washington, D.C.: Catholic University of America Press.

12- Oxford University Press. (1982). Oxford Latin Dictionary. Oxford: Oxford University Press.

13- Reese, W. L. (1996). Dictionary of Philosophy and Religion (2^{nd} ed.). Amherst, NY: Humanity Books.

14- Wakefield, G. S. (Ed.). (1983). The Westminster Dictionary of Christian Spirituality. Philadelphia: Westminster Press.

خامسا الموسوعات العربية

ابن منظور (١٩٩٧). لسان العرب. (تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، محمود فضل الله). بيروت: دار صادر، مجلد ٤، مادة "ضمر".